

النهار

مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center

التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا (2): الأدوات التعليمية والاجتماعية

تقرير وصفي تحليلي ضمن سلسلة بعنوان

"التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا"

الثلاثاء 10 شوال 1441هـ - 2 يونيو/حزيران 2020 م

مركز الحوار السوري

مؤسسة أهلية سورية تهدف إلى إحياء الحوار وتفعيله حول القضايا التي تهم الشعب السوري، وتسعى إلى توطيد العلاقات وتفعيل التعاون والتنسيق بين السوريين. أعلن عن تأسيس مركز الحوار السوري أواخر 2015م عقب عدة فعاليات حوارية في الشأن السوري. يتكون المركز من ثلاث وحدات موضوعية: وحدة الهوية المشتركة والتوافق، ووحدة تحليل السياسات، والوحدة المجتمعية.

إعداد: د. ياسين جمول

مدير الوحدة: د. أحمد قربي
وحدة التوافق والهوية المشتركة

التاريخ:

10 شوال 1441 هـ - 2 يونيو / حزيران 2020 م

 WWW.SYDIALOGUE.ORG

المحتويات

ملخص:	2
مقدمة:	3
1- أدوات إيران التعليمية للتغلغل الثقافي في سوريا	4
1-1- نشر اللغة الفارسية: محاولة لحجز مساحة في سوريا	4
1-2- اختراق الجامعات السورية واستقطاب كوادرها: محاولة لجذب قادة الرأي	6
1-3- افتتاح جامعات إيرانية: مراكز للتجسس والتطرف	8
1-4- إيفاد الطلبة: إعداد ناطقين باسم المشروع الإيراني	11
1-5- السيطرة على المدارس: الوصاية على أطفال سوريا	13
1-6- تغيير المناهج وإدراج اللغة الفارسية: ثمن الدعم الإيراني في مجال التربية والتعليم	15
1-7- معسكرات الكشافة: أطفال سوريا جنوداً في "جيش المهدي"	16
2- أدوات إيران الاجتماعية والمدنية للتغلغل الثقافي في سوريا	18
1-2- تأسيس الجمعيات والهيئات المدنية: محاولة رسم وجه ناعم لإيران	18
2-2- الخدمات الإنسانية: خبز إيران لنشر التشيع	21
2-3- المغريات غير المادية: التشييع وشراء الولاء بغير المال	23
2-4- استقطاب زعماء العشائر والشخصيات المؤثرة: شراء الولاء والذمم	25
2-5- العلاقات الاجتماعية: التزاؤ والتزؤج لمصلحة المشروع الإيراني	28
خاتمة:	30

ملخص:

يبحث الإصدار الثاني من سلسلة "التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا: أدواته، مخاطره، سبل مواجهته"، الأدوات التعليمية والاجتماعية-المدنية التي تستخدمها إيران لتحقيق هذا التغلغل.

لقد اتضح من خلال استعراض الأدوات التعليمية، والتي وردت في القسم الأول من هذا الإصدار، أن إيران تركز على استهداف شريحتي: الأطفال من جهة، عبر ثلاث أدوات هي: السيطرة على المدارس وتغيير المناهج ومعسكرات الكشافة، والشباب الجامعي من جهة ثانية، عبر اختراق الجامعات السورية وافتتاح جامعات إيرانية وإيفاد الطلبة. وتبقى وسيلة نشر اللغة الفارسية أداة عامة تستهدف من خلالها إيران مختلف شرائح المجتمع السوري.

في سعيها لاختراق البيئة الجامعية السورية، حرصت إيران على توقيع الاتفاقيات مع غالبية الجامعات السورية بغية توفير الغطاء القانوني لأنشطتها الثقافية في هذه الجامعات، وسهولة اختراقها واستمرار حضورها فيها لاحقاً؛ فالجامعات تحتضن قادة الدولة والمجتمع في المراحل التالية. إلى جانب ذلك تعمل إيران عبر الجامعات التي تفتتحها في سوريا، على استخدامها كمراكز لتجنيد المقاتلين في ميليشياتها. إضافة إلى ذلك، تبتعث طلاباً سوريين إلى إيران بحيث تدفع إلى الواجهة المدنية ببعض خريجي هذه الجامعات، بما يزيد من نسبة الخريجين المتأثرين بالثقافة الشيعية بنسخها الفارسية، والذين يحملون حقدًا على ثقافة بلدهم العربية الإسلامية، ويسعون في الوقت ذاته، لإبعاد المجتمع السوري عن وسطه العربي وإسلامه الوسطي المعتدل وتبعيته للمحور الإيراني وولاية الفقيه.

كذلك تستخدم إيران أدوات تعليمية لاختراق بيئة المدارس السورية. ظهر ذلك، من خلال المدارس التي تفتتحها خصوصاً في المناطق الشرقية، حيث بنت أربع مدارس، وحصولها على عقود لترميم 250 مدرسة في مناطق متفرقة من سوريا. ودفعها باتجاه تغيير المناهج المدرسية وإدخال اللغة الفارسية، وسعيها لـ "تطوير المدرسين وتدريبهم"، مع ما يعنيه ذلك من وضع كوادر وزارة التربية تحت الوصاية الإيرانية للتأهيل وفق أيديولوجيتها.

في مجال نشر اللغة الفارسية، كان هنالك ضعف في الإقبال على دورات تعليم الفارسية قبل الثورة - مع أنها كانت مجانية - بما يعطي مؤشراً مهماً على فشل إيران في تعميم لغتها، بخلاف الإقبال الكبير على تعلّمها بعد الثورة نتيجة استغلالها حاجات الناس للأمن والمال.

في مجال الأدوات الاجتماعية والمدنية، والتي كانت محل القسم الثاني من الإصدار، ظهر سعي إيران لتثبيت القبول لها ولعناصرها عند الناس، لاسيما في مناطق تمثل لها أهمية استراتيجية كريف دمشق والقلمون الغربي ودير الزور، عبر تأسيس الجمعيات المدنية وتقديم الخدمات الإنسانية. كما استخدمت إيران المغريات (كنشر زواج المتعة) تارة، والترهيب (التهديد بالاعتقال والزج بالشباب في جيش نظام الأسد أو تسليمهم للفروع الأمنية) تارة أخرى، للترويج لمشروعها الاحتلالي في سوريا. إضافة إلى ذلك، حاولت اختراق البناء المجتمعي السوري عبر علاقات المصاهرة واستقطاب بعض الشخصيات والطبقات المؤثرة كشيوخ العشائر، لإيجاد فئات مجتمعية حاملة للمشروع الثقافي الإيراني أو غير مناهضة له على الأقل.

مقدمة:

تبرز أهمية ثقافة أية أمة أو شعب في إيجاد التقاطعات والميول والاهتمامات المشتركة بين الأفراد، إضافة إلى دعم التماسك المجتمعي، وتشكيل الطابع القومي والتراث الذي يميز أبناء المجتمع⁽¹⁾. إذا كان الوضع الطبيعي لأية دولة أو أمة العمل بمختلف الوسائل لتكريس ثقافتها وهويتها بما يحقق هذه الأهداف، فإن المشاريع الغازية، كالمشروع الإيراني-على العكس من ذلك- يعمل وعبر مفهوم "تصدير الثورة" على تحطيم ثقافة الدول والأمم وخلخلة بنائها الاجتماعي، وخلق مبادئ ومفاهيم ثقافية متميزة لدى الأفراد والجماعات التي يستهدفها.

يحمل المشروع الإيراني-ونظراً لطابعه الأيديولوجي- ثقافة معينة يسعى لنشرها في البلدان المستهدفة-وعلى رأسها سوريا- عبر مزيج من الأدوات الصلبة والناعمة. بحثنا في الإصدار الأول من هذه السلسلة أدوات إيران الدينية لتحقيق تغلغلها الثقافي في سوريا. وسنتابع في هذا الإصدار الحديث عن الأدوات التربوية والتعليمية⁽²⁾ والمجتمعية-المدنية⁽³⁾.

تمثل شريحتي الأطفال والشباب أساس أي مجتمع وحاضره ومستقبله، ولذلك فلا غرابة أن نجد تركيزاً إيرانياً على استهدافها، وإيجاد وسائل متعددة لاختراق منظومتها الثقافية، لتأثير ذلك المباشر ليس على هذه الشرائح فحسب، بل على المجتمع السوري كاملاً. من هنا كان الاهتمام الإيراني بالأدوات التعليمية والتربوية. بالمقابل كان التركيز الإيراني على الوسائل المجتمعية والمدنية، بهدف التأثير على جانب من أصحاب التأثير المجتمعي في سوريا من جهة، وتوظيف المجتمع المدني بأساليبه وأدواته المتعددة من جهة أخرى. وبذلك تكون إيران قد زاوجت بين الأدوات ذات التأثير طويل الأمد وقصيره.

سيجيب هذا الإصدار على السؤالين التاليين:

- ما هي أبرز الأدوات التعليمية والتربوية التي تستخدمها إيران لنشر مشروعها الثقافي في سوريا؟
- كذلك، ما هي أبرز الأدوات الاجتماعية والمدنية المستخدمة في هذا المجال؟

تبرز أهمية هذا الإصدار في أنه يركز على الأدوات التي تحقق الانتشار الأفقي لهذا المشروع عبر بثه لدى مختلف شرائح المجتمع، أبرزها: الشباب والأطفال وبعض أصحاب التأثير. فإذا كان منبع خطورة الأدوات الدينية من أنها تستهدف الجانب العقدي والأيديولوجي لدى السوريين، فإن خطورة الأدوات التعليمية والتربوية تتجلى في استهدافها لشريحتي الأطفال والشباب بما يمثلون من مستقبل الوطن الممتد، وخطورة الأدوات الاجتماعية والمدنية في توظيفها لخلخلة البنية المجتمعية السورية، بدلاً من أن تكون -كما هو دورها المفترض- أدوات لتعزيز المجتمع المدني السوري.

1- وفيه جبار الياسري، الثقافة (مفهومها - خصائصها - عناصرها)، جامعة بابل- كلية التاريخ، 13-12-2016، الرابط: <https://bit.ly/3e9Yjud>.

2- نقصد هنا المعيار التخصصي؛ أي الأدوات التي تستخدمها إيران لنشر تغلغلها الثقافي عبر مرفقي التربية والتعليم في سوريا.

3- نقصد بهذه الوسائل: تلك الوسائل التي تستخدمها إيران إما بالاعتماد على منظمات المجتمع المدني والخدمات التي تقدم من خلالها، أو تلك التي تستهدف بعض فئات المجتمع والمؤثرين فيه.

ينقسم الإصدار إلى قسمين: يبحث الأول الأدوات التعليمية التي استخدمتها إيران لتحقيق تغلغلها الثقافي سوريا، في حين يركز القسم الثاني على الأدوات الاجتماعية والمدنية.

1- أدوات إيران التعليمية للتغلغل الثقافي في سوريا:

لم يقف اهتمام إيران بوضع يدها على التعليم الديني فحسب للتغلغل ثقافياً في سوريا؛ بل عملت لسنوات قبل الثورة للسيطرة على قطاع التربية والتعليم عامةً، ولم تقتصر جهود إيران في السيطرة على التعليم في سوريا، بل كانت لها محاولات في عدة دول للتغلغل في التعليم؛ فلم يعد خافياً أن التعليم أحد أسلحة إيران لنشر التشيع⁽⁴⁾ وتوسيع نفوذها في المنطقة، فقد جعلت القيادة الإيرانية بعد ثورة الخميني المؤسسة التعليمية تحت سيطرتها لأهميتها وخطورتها⁽⁵⁾، وتتابعته خططها في التربية الوطنية والتعليم⁽⁶⁾، وانتقلت بها للتدخل الناعم في مشروعها لتصدير الثورة.

وقد كان لإيران للتغلغل في التعليم السوري أدوات عدة، نرصد منها: نشر اللغة الفارسية، واختراق الجامعات السورية واستقطاب كوادرها، وافتتاح جامعات إيرانية، والسيطرة على المدارس، وتغيير المناهج وإدراج اللغة الفارسية، ومعسكرات الكشافة:

1-1- نشر اللغة الفارسية: محاولة لحجز مساحة في سوريا

لغة كل أمة هو لسانها الناطق بثقافتها المعبر عن هويتها؛ وحيث تنصدر اللغة الفارسية عناصر مشروع إيران الثقافي الذي تتغلغل به في سوريا وجدنا محاولات لنشر التشيع تمضي بالتوازي مع محاولاتها لنشر اللغة الفارسية.

تجهد إيران اليوم في نشر اللغة الفارسية في المناطق التي تسيطر عليها الميليشيات التابعة لها في سوريا؛ فهي لا تكتفي بالسيطرة العسكرية، بل تُسرّع في إقامة الحسينيات والحوزات العلمية، وتجعل معها مراكز لتعليم اللغة الفارسية؛ كما فعلت في المناطق المدمّرة في ريفي دير الزور والرقعة⁽⁷⁾، وأقامت في "السفيرة" من ريف حلب مركزاً لتعليم الفارسية⁽⁸⁾ بعد جهود سابقة لها في المدينة ذاتها لنشر التشيع⁽⁹⁾.

ولعل النسبة الأعلى في الترويج لنشر الفارسية ودورات تعليمها بعد 2011 كانت في محافظة اللاذقية بالتعاون بين المركز الثقافي الإيراني في اللاذقية ومجمع الرسول الأعظم⁽¹⁰⁾؛ فاللاذقية من المحافظات التي لم تشهد حركات نزوح، وتُعد مكاناً مفضلاً للروس والإيرانيين، وفيها قاعدة عريضة من الموالين للنظام، فاستمراراً لجهود التشيع في

4- يُنظر: أحمد منصور، التعليم سلاح إيران لنشر التشيع، جريدة الوطن، 2017/4/13، <https://cutt.us/Z1iz9>

5- يُنظر: ضياء قدور، دور المؤسسات التعليمية في إيران بالدعاية والتجسس - جامعة المصطفى العالمية نموذجاً، مرصد الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الإعلامي، 2019/9، <https://cutt.us/sXaz8>

6- يُنظر: مجموعة من الباحثين، المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية، مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية، دار عمار، 2013، ص 28.

7- إيران تفتتح مراكز لتعليم الفارسية في دير الزور والرقعة، زمان الوصل، 2018/10/2، <https://Oi.is/ghRS>.

8- ورفضت إيران أن تُقام الدورات في المركز الثقافي للمدينة، وأصرّت على تجهيز مركز مستقل وفق ما نشرته جرف نيوز في: 2018/10/29، <https://jorfnews.com/?p=18130>

9- إيران تبني مركزاً لتعليم الفارسية في حلب السورية، الخليج الجديد، 2019/8/22، <https://Oi.is/MIOF>.

10- ترويج الفارسية يصل ذروته بقرار جديد من الأسد، العربية نت، 2017/2/18، <https://Oi.is/70GB>.

أوساط العلويين التي اشتدت بدءاً من عهد الأسد الأب؛ كان تركيز الجهود في نشر الفارسية في منطقة الساحل لتعزيز الولاء لإيران والشيعية، لاسيما مع المغريات التي يقدمها مجمع الرسول الأعظم للطلاب والعوائل المسجلة عنده، لذا يتزايد الإقبال على دورات تعليم اللغة الفارسية لأنها مجانية من جهة، وتُقدم مساعدات مالية وإغاثية لمن يحضرها من جهة أخرى، فانتشرت بشكل أكبر، مع ازدياد صعوبة الوضع المعيشي في مناطق سيطرة النظام⁽¹¹⁾.

وما يزيد من خطورة نشر الفارسية استهداف الأطفال بالدورات، كما في مدن وبلدات ريف دير الزور، وتستهدف دورات تعليم اللغة الفارسية التي ينظمها المركز الثقافي في المدينة⁽¹²⁾ أطفالاً بدءاً من 8 سنوات⁽¹³⁾؛ في محاولة من إيران لفرض ثقافتها المذهبية الطائفية، مع أن اللجوء إلى غسل عقول الأطفال وتغيير تفكيرهم بطريقة طائفية وتجهيزهم ليكونوا مقاتلين في المستقبل هي "جرائم حرب جديدة"⁽¹⁴⁾.

وفي اللاذقية – فضلاً عن تعليم الفارسية في المراكز ومدارس مجمع الرسول الأعظم – تم التصريح بافتتاح قسم اللغة الفارسية في جامعة تشرين عام 2018، والذي أصبح متاحاً للراغبين من عمر 14 عاماً فما فوق⁽¹⁵⁾.

وليس هذا هو القسم الوحيد لتعليم الفارسية في الجامعات السورية؛ فقد سبقه افتتاح أقسام مشابهة في جامعتي حلب والبعث، وقبل ذلك كانت إيران قد استثمرت علاقتها السياسية في عهد بشار، فتمّ افتتاح أول قسم للغة الفارسية في جامعة دمشق عام 2005 بناء على اتفاقية تعاون بين الوزارتين⁽¹⁶⁾، مع الإشارة إلى أن ذلك كان مسبقاً بإنشاء مركز تعليم اللغة الفارسية في جامعة دمشق عام 1990، والذي استحدثت بمرسوم جمهوري⁽¹⁷⁾.

تمت بعض الخطوات السابقة أعلاه بناءً على موافقة مجلس التعليم العالي⁽¹⁸⁾، واتفاقية موقعة سابقاً بين الدولتين؛ بما يشير إلى انسياق الحكومة السورية مع المشروع الإيراني، لتكون خطوات التغلغل الثقافي الإيراني عبر اتفاقيات موقعة، ما يعني "مأسسة" التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا. ويدرك كثيرٌ من السوريين مخاطر نشر

-
- 11- الفارسية تتغلغل بين الفقراء في مناطق النظام.. والروسية في المدارس الرسمية، جريدة الشرق الأوسط، 2017/9/29، <https://Oi.is/xnLV>.
 - 12- والمركز الثقافي الإيراني في دير الزور هو مقرّ النادي الأكثر شهرةً في شرق سوريا (نادي الفتوة) اختارته إيران عمداً ليكون مركزها الثقافي. يُنظر: منح للدراسات الجامعية وندوات ثقافية وحسينيات.. وسائل التغلغل الإيراني في سوريا بعد الضغوطات الأمريكية لإبعادها، عربي بوست، 2018/7/17 <https://cutt.us/OWM2z>
 - 13- ما بعد انتهاء الصراع؛ كيف ستحفظ إيران وجودها في سوريا، غيث الأحمد، مركز رقيق الحريري للشرق الأوسط، 2019/1/11.
 - 14- يُنظر: إيران تستكمل احتلالها لسوريا عبر فرض الهيمنة الثقافية، الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، 20/يونيو/2018. <https://Oi.is/Qwdd>
 - 15- افتتاح قسم اللغة الفارسية في المعهد العالي للغات بجامعة تشرين، البعث ميديا، 2018/10/31، <https://Oi.is/eMZe>، ويُنظر: اللغة الفارسية تغزو الجامعات السورية، المدن، 2018/11/2، <https://Oi.is/IPLK>.
 - 16- موقع المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، 2015/5/19، <https://Oi.is/9S9e>.
 - 17- وفي جامعة حماة المؤسسة في عام 2014 – إذ ليس فيها قسم للغة الفارسية – يقوم معهد اللغات بدورات تعليم اللغة الفارسية مجاناً كذلك ينظر: حسان محمود، خطورة إيران على مستقبل سوريا، المركز الصحفي السوري، 2018/11/7، <https://Oi.is/RxDY>.
 - 18- موقع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، سوريا، مجلس التعليم العالي، 2017/1/23، <https://Oi.is/78xt>.

الفارسية، ولكن مع الهيمنة الإيرانية على رأس النظام كان يسهل عليها استصدار القرارات من هرم السلطة؛ لقطع أي طريق للمعارضة أو المناقشة⁽¹⁹⁾.

ويُثبت ضعف الإقبال على دورات تعليم الفارسية قبل الثورة - مع أنها كانت مجانية - فشل إيران في اختراقها ونشر اللغة الفارسية، ما كان يحملها على زيادة قنوات نشرها، بخلاف الإقبال الكبير على تعلّمها بعد الثورة واستغلال حاجة الناس للأمن والمال⁽²⁰⁾، الأمر الذي يشير إلى المزاوجة التي تتبعها إيران بين استخدام القوة الناعمة وتلك الخشنة لفرض نفوذها وتغلغلها داخل سورية.

وحيث يتأكد حضور اللغة الفارسية في الساحة التعليمية السورية فلم يقتصر تعليمها على الجامعات الحكومية، بل شمل حتى بعض الجامعات الخاصة أيضاً⁽²¹⁾.

يُشار إلى أن تعليم الفارسية في الجامعات وغيرها من المراكز في كل المناطق السورية يتبع للمستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق، فهي "الأب الروحي لها جميعها"⁽²²⁾.

1-2- اختراق الجامعات السورية واستقطاب كوادرها: محاولة لجذب قادة الرأي

لعلّ الحديث عن أقسام اللغة الفارسية يُوهم أنها السبيل الوحيدة للتغلغل الثقافي الإيراني في الجامعات السورية، وإن كانت تُظهر اهتمام إيران منذ عقود بتوقيع اتفاقيات تعاون مع وزارة التعليم العالي، وتبعاً للعلاقة السياسية كانت تُنفذ الاتفاقيات، لكنّ اختراق إيران للجامعات السورية لم يقف عند افتتاح أقسام تعليم الفارسية؛ فاللقاءات بين وزارة التعليم العالي والجهات الإيرانية ممثلة بالمستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق أو وزارة العلوم والبحوث والتقانة وبعض الجامعات واللجان التابعة لها ترجع حسب موقع وزارة التعليم العالي السورية إلى ما قبل 2006م وبشكل مطّرد في البلدين، وفي كل اللقاءات كان يتم الإعلان عن تفاهات واتفاقيات تعاون دون توقيع مذكرات واضحة المعالم معلن عنها⁽²³⁾، وهنا تكمن الخطورة؛ فالاتفاقيات "الفضفاضة" تحرص عليها إيران لأنها تعطيها مساحة أكبر للتغلغل عبر بوابات عدة في المؤسسات السورية، ويمكنها إدراج كافة أنشطتها الثقافية تحت تلك البنود العامة.

19 وأكّد لنا أكاديمي سابق عمل في أحد أقسام اللغة الفارسية أن مسؤولاً في المستشارية الثقافية الإيرانية وبخهم مرةً حينما اقترحوا توقيف القسم مؤقتاً لقلّة الإقبال عليه، وقال لهم: "لا تتجاوزوا حدودكم؛ لن يُغلق القسم، فافتحاه قرار سياسي، ولا يمكنكم توقيفه بأي شكل" مقابلة مع أكاديمي سوري عمل لسنوات في قسم اللغة الفارسية، أجريت المقابلة في تركيا، 2020/2/22.

20- يُنظر: ترويج اللغة الفارسية يصل ذروته بقرار جديد للأسد، العربية نت، 2017/2/18. <https://Oi.is/70GB>
21- يُنظر: موقع وزارة التعليم العالي في سوريا، القرار رقم 126، تاريخ 2011/11/21؛ وفيه السماح لجامعة الحواش الخاصة بإضافة اللغة الفارسية إلى اللغات التي تدرّسها http://mohe.gov.sy/SD08/msf/1384252731_3_126-2011-2012.pdf.

22 مقابلة مع أكاديمي سوري عمل لسنوات في قسم اللغة الفارسية، مشار لها سابقاً
23- يُنظر: موقع وزارة التعليم العالي السورية <http://mohe.gov.sy/mohe/index.php>، 2006/12/24، و2007/2/15، و2007/7/10، حتى 2018/11/1.

ولعل من مؤشرات الاهتمام الكبير لإيران بالتغلغل في مؤسسات التعليم العالي استقبال هاشمي رفسنجاني رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام لوزير التعليم العالي السوري في زيارته طهران عام 2006⁽²⁴⁾.

والتدعيم المذكور لمستوى التعاون الأكاديمي تبدى بشكل واضح بعد إنطلاقة الثورة وافتتاح تبعية النظام السوري للمشروع الإيراني؛ ففي أواخر عام 2011 أعلن عن تعاون علي بين جامعة حلب والجامعات الإيرانية، ووفق صحيفة الثورة فإن "جامعة حلب ترتبط بتعاون وثيق مع عدد من الجامعات الإيرانية، لاسيما مع جامعات (الإمام الصادق) و(أصفهان) و(تربية مدرس) ودائرة المعارف الإسلامية ومنظمة دراسة وتدوين كتب العلوم الإنسانية للجامعات (سمت)، إضافة إلى المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق"⁽²⁵⁾.

وفي عام 2018 تم الاحتفال بذكرى انتصار الثورة الإيرانية على مسرح دار الثقافة في جامعة البعث بحمص بحضور السفير الإيراني في سوريا⁽²⁶⁾، لتجدد إيران الاحتفالية بذكرى انتصار ثورتها في العام التالي 2019 في جامعة الفرات بدير الزور⁽²⁷⁾.

وترتبط جامعة دمشق بعدة اتفاقيات مع الجامعات ومراكز البحث الإيرانية من مختلف التخصصات بدءاً من عام 2001⁽²⁸⁾. كما عملت إيران على اختراق كلية الشريعة في جامعة دمشق؛ حينما لم يكن في سوريا كلها كلية دينية رسمية سواها، ففرضت أحد رجالها كمدرس للغة العربية؛ وهو معروف بتشيّعه وحماسه للمشروع الإيراني، وضغطت من خلال المستشارية الثقافية بدمشق والمتعاونين معها لفرض المذهب الجعفري مذهباً فقهياً في الدراسات العليا⁽²⁹⁾.

وسبق لجامعة تشرين أن أقامت علاقة مع المستشارية الثقافية الإيرانية قبل افتتاح قسم تعليم الفارسية فيها مؤخراً من خلال صلة رئاسة الجامعة بمركز تعليم اللغة الفارسية في اللاذقية منذ عام 2011⁽³⁰⁾.

وارتبطت جامعة حماة عام 2018 باتفاقيات تعاون وتبادل ثقافي مع ثلاث جامعات إيرانية في يوم واحد خلال زيارة لإيران؛ وفي نصّ كلام رئيس جامعة حماة عن الاتفاقيات أنها "فضفاضة"، مضيفاً: "ما يميز الاتفاق الموقع مع (جامعة الزهراء) هو التركيز على شريحة الإناث داخل القطر؛ الأمر الذي يهّم الأهالي بشكل كبير، ويؤمن انتقال الطالبات لاستكمال تحصيلهم العلمي في إيران!!"⁽³¹⁾، وسبق هذا التوقيع زيارة وفدٍ من أكاديميات سوريات من

24- موقع وزارة التعليم العالي السورية، 2006/12/28، <https://Oi.is/YJr>، وفيه: أن رفسنجاني أكد وقتها "أهمية العلاقات السورية الإيرانية وضرورة الارتقاء بها في شتى المجالات؛ وخاصة التعليم العالي"، وقال: "إن العلاقات الثقافية والعلمية ليست في مستوى ملائم مقارنة مع العلاقات في سائر المجالات الأخرى، مؤكداً أن الظروف مواتية لتدعيم مستوى التعاون الثقافي والعلمي بين طهران ودمشق؛ حيث إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية مستعدة لتطوير العلاقات العلمية مع سوريا أكثر فأكثر".

25- يومية الثورة، دمشق، 2011/12/22، <https://cutt.us/WL7nK>.

26- موقع جامعة البعث، أخبار، 2018/2/7، <https://albaath-univ.edu.sy/article3030>.

27- جامعة سورية تحتفل بذكرى الثورة الإيرانية، أورينت نت، 2019/2/7، <https://cutt.us/rW5yG>.

28- يُنظر: موقع جامعة دمشق، مديرية العلاقات الدولية والثقافية، آسيا، إيران، <https://cutt.us/eLzsd>.

29- من مقابلة أكاديمي سابق في جامعة دمشق، وتمت المقابلة في الأردن بتاريخ 2020/2/23.

30- يُنظر: د. معلا يلتقي مدير تعليم اللغة الفارسية، موقع جامعة تشرين، 2011/10/26، <http://www.tishreen.edu.sy/ar/node/4308>.

31- جامعة حماة توقع اتفاقيات تعاون وتبادل ثقافي مع 3 جامعات إيرانية، موقع جامعة حماة، 2018/10/31، <https://cutt.us/9yRZU>.

مختلف الجامعات الحكومية والخاصة لمركز جامعة الزهراء في طهران، وأعرب مسؤولو الجامعات السورية في الزيارة "عن رغبتهم في توقيع الاتفاقية وتنفيذها بالتعاون الأكثر بينهم"، وفق ما أعلن في موقع جامعة الزهراء⁽³²⁾.

ومما يحقق لإيران تغلغلها الثقافي في الجامعات السورية تنظيم زيارات للأكاديميين والمسؤولين في التعليم العالي السوري إلى إيران؛ لاسيما في الظروف الاقتصادية والأمنية العصبية التي تمرّ بها سوريا، ليتحقق لإيران تحكّمها أكثر بالجامعات السورية عبر الاتفاقيات المشتركة، في خطوات استباقية؛ فقد شارك بعض رؤساء الجامعات السورية في فعاليات المعرض السابع للتجهيزات المخبرية المصنّعة في إيران عام 2019، ليتحدث رئيس جامعة البعث عن ضرورة الاستفادة من التجربة الإيرانية وتطور جامعاتها العلمي والتقني في "إعادة الإعمار في سوريا"⁽³³⁾!

وكانت السفارة الإيرانية بدمشق تقيم عدة رحلات سياحية مجانية لعدد من أساتذة الجامعات السورية والإداريين، لكسب ولأهم وتيسير تغلغلهم في دوائر الدولة، مع إغداق الهدايا والأموال عليهم وتكريمهم بوسائل شتى لنشر ما ينسجم مع أهداف إيران واستراتيجيتها. بل وصل التغلغل الإيراني في ملفات ذات صلة ضمن الجامعات السورية - كما يرى البعض - إلى درجة أنّ من يرغب بمنصب أو ترفيع إداري ما فينبغي أن ينال رضى المستشارية الثقافية الإيرانية. وبالمقابل فإنّ إعفاء مسؤول ما من منصب إداري أو علمي في الجامعات قد يكون بسبب سخط تلك المستشارية عليه؛ لدوره في عرقلة مشاريعها وخطتها، أو تقصيره تجاهها⁽³⁴⁾.

وحرصُ إيران على توقيع الاتفاقيات مع غالبية الجامعات السورية نابعٌ من اهتمامها بتوفير الغطاء القانوني لأنشطتها الثقافية في هذه الجامعات، وسهولة اختراقها واستمرار حضورها فيها لاحقاً؛ فالجامعات تحتضن قادة الدولة والمجتمع في المراحل التالية، وتكثيف أنشطة إيران الثقافية في الجامعات تحت مظلة "اتفاقيات فضفاضة" يهدف لإثبات حضورها الثقافي في أرقى المؤسسات التعليمية في البلد؛ ما يعطي انطباعاً بأن ثقافتها الدينية و"الثورية" جزء من ثقافة البلد، كما تهدف إيران من جانب آخر لاستقطاب أكبر عدد ممكن من الطلاب الباحثين عن وظيفة أو فرصة للابتعاث لإكمال الدراسة؛ ويمكن للإيرانيين توفيرها لهم بسهولة، أو من كادر الجامعات التدريسي والإداري الطامح لمناصب سياسية أو أكاديمية؛ ويكفيه لها تزكية من "المستشارية الثقافية الإيرانية" بدمشق.

3-1- افتتاح جامعات إيرانية: مراكز للتجسس والتطرف

يبدو أن كل ما أنجزته إيران من التغلغل في الجامعات السورية لم يحقق لها كامل أهدافها في الاستحواذ على التعليم العالي السوري، فانتقلت إلى افتتاح فروع لجامعات إيرانية في سوريا، وإن كانت هذه الخطوة كذلك سبق لها مؤشرات قبل 2011، وبدأت بالتعليم الديني؛ فأول جامعة إسلامية شيعية متخصصة بالعلوم الدينية حصلت

32- زيارة وفد أكاديميات سوريات جامعة الزهراء، دائرة شؤون التعاون العلمي الدولي، جامعة الزهراء، 2017/12/23. <https://cutt.us/T26fs>.

33- مشاركة الجامعات السورية في المعرض السابع للتجهيزات المخبرية المصنّعة في إيران، موقع جامعة البعث، 2019/11/19. <https://cutt.us/Pb1t2>.

34- مقابلة مع أكاديمي من قسم اللغة الفارسية، مشار لها سابقاً.

على ترخيص أممي (وليس ترخيصاً قانونياً) للعمل داخل سوريا عام 2003 بجهود من هيئة خدمة أهل البيت في "السيدة زينب"⁽³⁵⁾.

وفي العام الدراسي 2006-2007 افتتحت كليةً شرعيةً شيعيةً في مدينة "الطبقة" في محافظة الرقة، وكليةً شرعيةً شيعيةً أخرى في إدلب بمنهج شيعي خالص⁽³⁶⁾؛ علماً أن "سوريا السنيّة" لم يكن فيها إلا كلية واحدة للشريعة في جامعة دمشق، وبعد مطالبات لسنوات طويلة افتتحت كلية الشريعة بجامعة حلب في العام ذاته 2006-2007.

وذكر أحد الأكاديميين الشرعيين السوريين من محافظة إدلب: "عندما افتتحت كلية الشريعة لتدريس المذهب الشيعي، كان الطالب يمنح 6000 ليرة سورية، بما يعادل راتب موظف في ذلك الوقت، واستفادوا من القبضة الأمنية؛ ومع ذلك فلم تجد قبولاً بين الناس"⁽³⁷⁾، ولم يكن لهم في وجه من عارضوا نشاطهم وبيّنوا خداعهم للناس إلا ردّهم: "نحن نعمل بعلم الأمن السياسي والأمن العسكري"⁽³⁸⁾؛ ليتأكد العمل بموافقة أمنية لا قانونية من الجهات ذات الصلة.

وبعد الثورة نشطت إيران في افتتاح فروع لجامعاتها في سوريا؛ فأعلن علي أكبر ولايتي كبير مستشاري المرشد الأعلى للثورة في إيران: موافقة رأس النظام على "افتتاح فروع لجامعة آزاد في مختلف المدن السورية"⁽³⁹⁾؛ فهي "فروع" وليست فرعاً واحداً، و"ولايتي" هو رئيس مجلس أمناء (جامعة آزاد) ثاني أكبر جامعة بعد جامعة طهران، ومؤسسها هو الخميني عام 1982، وتخضع فروعها في سوريا وغيرها لوزارة الإرشاد الإسلامي والثقافي في إيران.

وبالمقارنة مع افتتاح جامعة إدلب وجامعة الرقة الذي تمّ عام 2006-2007 دون إعلان وصخب نجد ملفتاً للانتباه الإعلان عن افتتاح فروع (جامعة آزاد)، ومن شخص (علي أكبر ولايتي) نفسه، ولعل هذا الإعلان كما وصفته بعض الصحف: "خطوة تحمل ظرفية الإعلان عنها وارتباطها بتطور الوضع السياسي في سوريا أبعاداً كثيرة، تؤكد أن النفوذ الإيراني في المنطقة لا يقتصر على تقديم الدعم العسكري والمالي للمليشيات والأحزاب والأنظمة الموالية، بل يتعداه إلى تطوير القوة الناعمة المستدامة"⁽⁴⁰⁾.

وفي عام 2018 أعلن وزير العلوم والأبحاث والتكنولوجيا الإيراني (غلامي) عن الرغبة بإنشاء فرع لجامعة (تربية مدرّس) في دمشق، لتحقيق عدة أهداف منها تخريج أساتذة الجامعات في سوريا، ومساهمة الطاقات التي تزخر بها الجامعات ومراكز التعليم العالي في إيران في حل المشاكل والقضايا التي تواجه سوريا"⁽⁴¹⁾.

35- د. عبد الرحمن الحاج، البعث الشيعي في سورية (1919 – 2007)، المعهد الدولي للدراسات السورية، 2009، ص 127.

36- عبد الستار آل حسين، تحذير البرية من نشاط الشيعة في سورية، دار المحدثين، مصر، ص 66-67.

37- تمت المقابلة جنوب تركيا بتاريخ 2020/2/26.

38- مقابلة مع أكاديمي سابق في جامعة دمشق، تمت المقابلة بتاريخ 2020/2/23.

39- الرئيس السوري يوافق على افتتاح فروع جامعة آزاد الإسلامية في بلاده، قناة العالم، 2018/1/16. <https://cutt.us/MR4Rw>.

40- فروع الجامعات الإيرانية في الخارج قوة ناعمة مستدامة، في العمق، صحيفة العرب، السنة 40، العدد 10875، 2018/1/20.

41- وكالة الأنباء الإيرانية (IRNA)، 2018/11/14. <https://cutt.us/y1a8d>.

وكان سبق ذلك توقيع محضر اللجنة المشتركة لإنشاء (جامعة الفارابي) عام 2009 بين وزير التعليم العالي في حكومة النظام ووزير العلوم والأبحاث والتقانة الإيراني لتكون فرعاً لجامعة (تربية مدرّس) الإيرانية⁽⁴²⁾؛ لتكون جامعة سورية إيرانية في اللاذقية.

ولعل أخطر جامعة افتتحتها إيران في سوريا هي (جامعة المصطفى)، التي تأسست في "قم" الإيرانية، ويشرف عليها خامنئي بنفسه، فهذه الجامعة تُعد من أخطر أكاديميات التطرف الإيرانية⁽⁴³⁾؛ لأن مهمتها مدّ الميليشيات الإيرانية بالمقاتلين ونشر التشييع وتصدير الثورة الإيرانية لمختلف دول العالم، وخرّجت أكثر من 50 ألف رجل وامرأة من 122 دولة، وكانت ميزانيتها لعام 2019 ما يعادل 68 مليون دولار فهي من أهم أذرع إيران للتغلغل الثقافي في مختلف الدول، ولها أنشطة استخباراتية ودعائية تشرف عليها قيادة الثورة الإيرانية⁽⁴⁴⁾. وفي تقرير نشره المجلس الوطني للمعارضة الإيرانية عن أسماء المراكز السرية التي تستخدمها طهران داخل سوريا من أجل تجنيد المقاتلين في ميليشياتها كشف التقرير أن الشبكة الرئيسية للنظام الإيراني في سوريا هي "ممثلية جامعة المصطفى"؛ إذ تتم إدارتها في العاصمة دمشق من قبل 20 معمم أرسلتهم طهران، على رأسهم الملا "تهراني"، ولها فرع آخر في قرية "نُبل" شمال حلب⁽⁴⁵⁾.

ومع هذه الجامعات الإيرانية المتطرفة التي تم افتتاحها في سوريا جاء إعلان وزير الأوقاف السوري عن افتتاح كلية للمذاهب الإسلامية "لتعزيز العلاقات بين علماء الشيعة والسنة"⁽⁴⁶⁾. وأسست هذه الكلية بالتعاون مع "المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية" الذي يتبع لمرشد الثورة الإيرانية (علي خامنئي).

وفي تعليقه على إعلان تأسيس كلية المذاهب الإسلامية في دمشق بالتعاون مع إيران قال الشيخ سمير الصالح عضو رابطة العلماء السوريين: "يأتي اليوم قرار وزير الأوقاف إقامة كلية الدراسات الإيرانية تأكيداً علنياً ومباشراً بأن البنية السكانية لمدينة دمشق وريفها تغيرت، وصار فيها من الإيرانيين أو المتشييعين أعداد كافية لتكريس فكرة احتلال بلاد الشام، وتشجيع من بقي من أهلها أو تهجيرهم"⁽⁴⁷⁾؛ فهذه الكلية – وإن تجمّلت باسم التقريب – فهي أداة من أدوات إيران للتغلغل الثقافي في المجتمع السوري.

ومع هذه الجامعات التي تغلب عليها الدراسات الشرعية ثمة معاهد للتعليم العالي كذلك، وأكثرها ملحق بالحوزات الدينية الشيعية في دمشق وغيرها؛ وإيران في ذلك كله تهدف لهيئة مزيد من الأنصار المؤيدين للنفوذ الثقافي الإيراني

42- موقع وزارة التعليم العالي، 2009/3/8. <https://cutt.us/l5mqy>.

43- جامعة المصطفى أخطر أكاديميات التطرف الإيرانية، مروان العياصرة. موقع حفريات، 2018/9/19 <https://cutt.us/3LUmz>

44- دور المؤسسات التعليمية في إيران بالدعاية والتجسس – جامعة المصطفى نموذجاً، مرجع سابق.

45- تقرير يكشف عن أسماء المراكز السرية لإيران بسوريا، موقع نداء سوريا، 2018/7/26. <https://www.nedaa-sy.com/news/7515>

46- بعد لقاء خرازي بوزير الأوقاف السوري: تأسيس كلية للمذاهب الإسلامية بدمشق، <https://cutt.us/OOixM>

47- أحمد مظهر سعدو، كلية المذاهب الإسلامية بدمشق.. لماذا اليوم؟ شبكة جبرون الإعلامية، مارس 2018. <https://0i.is/yyOU>

(48)، يقول ديفيد راخني الأستاذ الإيراني في جامعة (بيس) الأمريكية: "الجامعات الإيرانية خارج إيران لا تهدف بالضرورة للربح المادي، بل أكثر ذلك لإعادة تأكيد أجندة إيران الإستراتيجية على المدى الطويل" (49).

4-1- إيفاد الطلبة: إعداد ناطقين باسم المشروع الإيراني

تستهدف إيران استقدام الطلاب العرب والمسلمين عامةً للدراسة في الجامعات الإيرانية، ولاسيما في جامعتي المصطفى والخميني، فيتم إخضاع هؤلاء الطلبة لعمليات تشييع واسعة النطاق، من خلال تنظيم دورات في الفكر الشيعي يكون لزاماً عليهم الانتساب إليها من أجل منحهم شهادات التخرج، فضلاً عن مساعدة الفقراء منهم مادياً، لكسب تعاطفهم مع مشروع إيران؛ لكي يصبحوا لقمة سائغة في أيدي "الولي الفقيه" ناطقين باسم إيران، تحركهم كيفما تشاء بعد عودتهم إلى بلادهم لخدمة أهدافها (50).

وإكمالاً لمساعي إيران في تغلغلها الثقافي داخل سوريا وصناعة مؤيدين لنفوذها اهتمت بإيفاد الطلبة السوريين للدراسة في الجامعات الإيرانية، عبر برنامج منح وتبادل طلابي مع الجامعات السورية، أو من خلال الحوزات الدينية والجمعيات التابعة لها، وهذا ما بدأته إيران مبكراً بدءاً منذ استيلاء الأسد الأب السلطة (51)؛ إذ يذكر بعض الباحثين أنه في لقاءٍ لأعيانٍ في الطائفة العلوية في القرداحة في صيف 1980 أُتخذ قرار بإرسال قرابة 500 شاب من العلويين للدراسة في المعاهد الدينية في حوزات "قم" الإيرانية؛ فمن المؤكد أن عدداً غير قليل من العلويين ذهبوا للدراسة في قم والنجف، وتخرجوا هناك منذ ذلك العهد (52).

وقد وجدت ثمرات ذلك في تصدُر بعض الدارسين في جامعات إيران وحوزاتها الدينية لمشروعها في سوريا؛ مثل "عبد الله نظام" ذراع إيران القوي في دمشق وحامل راية التشييع فيها، وقد تم تعيينه مستشاراً في وزارة التربية، و"أيمن زيتون" خريج الحوزات الدينية الإيرانية الذي رجع من إيران ليدير أعمالها في الساحل السوري، حتى ترأس مجمع الرسول الأعظم فيها (53).

وفي الاتفاقيات الإيرانية المشار إليها من قبل مع الجامعات السورية منحٌ كثيرةٌ للطلاب للدراسة في إيران، حتى كانت اتفاقيات جامعة حماة وتم فيها تخصيص منح للطلبات خاصة.

وإن كانت المنح الإيرانية لاستقطاب الطلاب السوريين للدراسة فيها من قبل 2011؛ إلا أنها صارت تستعملها سلاحاً تصيب به أكثر من هدف بعد ذلك، فاستهدفت بها المناطق التي دمرها النظام بالتعاون مع ميليشياتها الطائفية، كما تفعل حالياً في دير الزور من خلال مركزها الثقافي في المدينة، حتى نشروا ملصقات على جدران المدينة تبيّن

48- يُنظر: مؤسسات النفوذ الإيراني: ص 20.

49- إسرائ حبيب، جامعات إيران.. طابور ثقافي خامس في الوطن العربي، إيران بوست، 2018/4/12. <https://cutt.us/BqOVz>

50- يُنظر: الطلاب الدارسون في إيران مخططات النفوذ الناعم لنشر التشييع عبر العالم، شبكة الرائد الإسلامية، يونيو/2017 <https://cutt.us/3HDap>

51- يُنظر: تحذير البرية: ص 16 و ص 67.

52- البعث الشيعي: ص 58، خالد السنداوي، والتشييع في سورية ليس خرافة "بحث ميداني"، إعداد وترجمة: حمد العيسى، دار مدارك للنشر، الإمارات، 2014، ص 41، ميشيل سورا، سوريا: الدولة المتوحشة، ترجمة: أمل سارة ومارك بيالو، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017، ص 175؛ وفيه أنهم 200 طالب.

53- يُنظر: صلاح الدهني، عربي 21 ترصد عمائم نفوذ إيران بسوريا ومؤسساتها، عربي 21، 20 مارس 2019. <https://cutt.us/hfs6f>

شروط التقديم وتحقّز الطلاب، وبسبب الدمار في المدينة وجامعتها ورغبةً من الطلاب والأهالي بفرصة للخروج سجّل التقديم فيها إقبالاً كبيراً⁽⁵⁴⁾.

وفي عام 2015 أعلن السفير السوري بطهران عن منح دراسية إيرانية للطلاب الموالين لنظام الأسد بدعم من المرشد علي خامنئي، بمقابل ما تمنحه تركيا والسعودية للطلاب الذين وصفهم بأنهم "أقارب الإرهابيين التكفيريين"، في إشارة للثوار السوريين⁽⁵⁵⁾.

وفي مقابلة مع أحد الموفدين العائدين من الدراسة في الجامعات الإيرانية⁽⁵⁶⁾ ذكر: أن المنح الدراسية الإيرانية لا تفتح للطلاب السوريين كافة التخصصات؛ فبعض التخصصات الدقيقة حكراً على المحسوبين من الإيرانيين على الحرس الثوري فقط، وبخصوص الطلبة السوريين الموفدين إلى إيران فأولُ مَنْ تحاول إيران استقطابهم المعيدون في الجامعات السورية عبر وزارة التعليم العالي، ولكن لا تتم الموافقة على إيفادهم إلا بعد دراسة ملفاتهم، وقد تستغرق سنةً أو أكثر. وقد يكون الإيفاد عن طريق الجمعيات المعتمدة من إيران مثل "جمعية المودة" لعبد الله نظام؛ فهو يستقبل الطلبات في مركزه بدمشق مقابل مبلغ مالي، وله مندوبون في إيران يتابعون طلابه الموفدين مع الوزارة الإيرانية بشكل مستقل عن وزارة التعليم العالي السورية، حيث يقبلون الطلاب المرشحين من قبل هذه الجمعية حتى ولو كانت درجاتهم لا تؤهلهم بالأساس للدخول إلى تلك الكليات. ويعطي عبد الله نظام الأولوية في الإيفاد للطلاب الشيعة، لاسيما أهالي حيّ الأمين بدمشق وقرى الشيعة في الشمال (نبل والزهران وكفريّة والفوعة).

كما ترشح "جمعية البستان" التابعة لرامي مخلوف طلاباً لإيفادهم إلى إيران، والمنح المقدّمة منها خاصة بالطلاب العلويين، وأغلبهم من طرطوس واللاذقية؛ وهذا يؤكد أن العروض بالدراسة في إيران تنهال على كل مَنْ يقترب من المؤسسات الإيرانية في سوريا⁽⁵⁷⁾.

لقد قدمت إيران بعد الثورة السورية تسهيلات كبيرة للطلاب الشيعة؛ حتى إن بعض الطلبة الشيعة – لاسيما أبناء كفريّة والفوعة ونبل والزهران – حصلوا على منح للدراسة الجامعية دون أن يحملوا شهادة ثانوية! ولهم امتيازات كثيرة في إيران من مساعدات وفرص عمل في المراكز الشيوعية والإعلامية، وبعضهم رافقوا الميليشيات الإيرانية في سوريا بهدف الترجمة⁽⁵⁸⁾.

54- يُنظر: منح للدراسات الجامعية وندوات ثقافية وحسينيات.. وسائل التغلغل الإيراني في سوريا، مرجع سابق.

55- منح دراسية إيرانية لطلاب سوريين موالين للأسد، العربية نت، 2015/2/25 <https://cutt.us/B9nwr>

56- موفد سوري حصل على الدكتوراه من طهران وعمل فيها، واستقر في تركيا بعد انتهاء مدة إيفاده، أجريت المقابلة في شرق تركيا بتاريخ 2020/2/20.

57- يُنظر: البعث الشيعي: ص 71.

58 ذكر الموفد السوري: "أن الاجتماعات والاحتفالات الدينية لا تنقطع بالموفدين، ويحرصون على أنشطة ثقافية وترفيهية وجولات سياحية دينية، مع دعوات إلى موائد رمضان واللقاءات الدينية؛ "لإظهار الوجه الجميل" بزعمهم" مقابلة مع موفد سوري حصل على الدكتوراه من طهران وعمل فيها، مشار لها سابقاً. وفي السياق ذاته، ذكر موفد آخر إلى إيران أنها تحاول إغراء بعض الطلبة الموفدين والإيقاع بهم عن طريق نساء إيرانيات بطرق استخباراتية لابتزازهم فيما بعد.

مقابلة مع أكاديمي سوري كان موفداً سابقاً إلى إيران في اتصال هاتفي معه بتاريخ 2020/2/21.

وفي عام 2016 وقّع وزير التعليم العالي في حكومة النظام مع السفير الإيراني بدمشق اتفاقية تبادل المنح الدراسية، وتضمنت تقديم الجانب الإيراني 200 منحة سنوياً بمقابل 60 منحة سنوياً من الجانب السوري⁽⁵⁹⁾. وأعلنت وزارة التعليم العالي في حكومة النظام عام 2018 عن منح إيرانية للعام الدراسي 2018-2019 للدراسات الجامعية والدراسات العليا في مختلف التخصصات⁽⁶⁰⁾، ويشير بعض الباحثين إلى أن المجلس الأعلى الإيراني بقيادة خامنئي وضع خطة طموحة لاستقطاب 20 ألف طالب سوري للدراسة في إيران⁽⁶¹⁾.

وفي هذا السياق، يرى البعض أن الهدف من ابتعاث الطلاب إلى إيران هو: "الدفع إلى الواجهة المدنية ببعض خريجي هذه الجامعات، وعن طريقهم يشوّه التاريخ والثقافة العربية، ومحاولين إبعاد المجتمع السوري عن وسطه العربي وإسلامه الوسطي المعتدل وربطه بالمحور الإيراني وولاية الفقيه"⁽⁶²⁾.

5-1- السيطرة على المدارس: الوصاية على أطفال سوريا

لم تقف المطامع الإيرانية في تحقيق التغلغل الثقافي في سوريا على الصعيد التعليمي عند محاولة الاستحواذ على التعليم العالي، بل إن أنظارها – بشكل لا يقل جدّة وعنايةً – انصبّت على أطفال سوريا في المدارس.

ففي 2020/01/24 وقعت وزارة التربية السورية مع وزارة التربية والتعليم الإيرانية مذكرة تعاون تعليمية مشتركة، ودون التصريح بنصّ الاتفاقية الموقعة ذكرت وزارة التربية السورية⁽⁶³⁾ أنه: "تمّ التوقيع والتوافق على البنود كافة بعد مناقشتها وصياغتها، بما فيها: تأهيل وتطوير قدرات المدرسين والمدرسات، وتبادل الخبرات، والمساهمة في ترميم المدارس؛ بما سينعكس إيجاباً على تطوير العملية التربوية"، والملفت كذلك فيما أوردته الوزارة في خبر التوقيع أنها جاءت: "في إطار اتفاقية التعاون الثقافي الموقعة بطهران في الحادي والعشرين من شهر شباط 1984؛" فالاتفاقيات التي يتم توقيعها اليوم "فضفاضة"، وبناءً على اهتمام قديم لإيران بالتغلغل الثقافي في الميدان التربوي السوري.

وقبل ذلك بنحو عامٍ في 2019/01/28، وضمن إطار اللجنة العليا المشتركة بين سوريا وإيران تم توقيع 11 اتفاقية في المجالات الاقتصادية والعلمية والثقافية والاستثمار والإسكان⁽⁶⁴⁾، ووُصف التعاون في الخبر أنه "استراتيجي طويل الأمد"، ومن الاتفاقيات الموقعة: "البرنامج التنفيذي للتعاون الثقافي بين وزارة الثقافة في حكومة النظام ووزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي في إيران للأعوام 2019-2020-2021"، ومنها "توقيع البرنامج التنفيذي في المجال التربوي" التعليم ما قبل الجامعي "للأعوام 2019 و2020 و2021"، وقد رحّب رئيس مجلس وزراء النظام "بمشاركة واسعة للفعاليات الاقتصادية الإيرانية في مرحلة إعادة الإعمار بمختلف المشاريع التنموية والخدمية والاقتصادية والسياحية وبما يليق بالعلاقات المتميزة بينهما"؛ حيث تشمل هذه الاتفاقيات الجوانب التربوية والثقافية

59- موقع وزارة التعليم العالي السورية، 2016/4/18. <https://cutt.us/xwWgc>

60- موقع سيريانيز، 2018/9/10. <https://syria.news/68c9d68b-10091812.html>

61- تبيل العتوم، هل هناك احتلال ثقافي إيراني لسوريا، لقاء تلفزيوني، برنامج مؤشر الحدث، تلفزيون سوريا، 2018/12/5. <http://bit.ly/37v2y0C>

62- نقلاً عن د. عبد العزيز الدغيم (وزير التعليم العالي السابق في الحكومة السورية المؤقتة)، محمد فرح، الاختراق الإيراني لسوريا في إحدى أشبع صورته،

أنا برس، 2018/4/3. <https://cutt.us/hjg5D>

63- موقع وزارة التربية السورية، 2020/1/24. <https://cutt.us/pWPFJ>

64- موقع وزارة التعليم العالي السورية، 2019/1/28. <https://cutt.us/l717H>

والتعليمية، بما في ذلك ما أُطلق عليه "إعادة الإعمار"، وهو في المجال التربوي ما يتصل بترميم المدارس كما تم التصريح بعنوانه في اتفاقية 2020 المذكورة آنفاً، ولعل التعليق الأصح عليها جاء على لسان رأس النظام الذي أكد "أن هذه الاتفاقيات ومشاريع التعاون التي تم التوصل إليها تحمل بُعداً استراتيجياً"⁽⁶⁵⁾؛ لكنها الاستراتيجية الإيرانية لإحكام تغلغلها الثقافي في سوريا!!

ومع استحضار أن إيران حصلت على عقود ترميم أكثر من 250 مدرسة⁽⁶⁶⁾ بعد تأكيد النائب الأول للرئيس الإيراني مطلع عام 2020م أن "شركات إيرانية خاصة تبدي رغبتها في المشاركة بإعادة إعمار سوريا"⁽⁶⁷⁾، وأنها أبرمت الاتفاقات اللازمة في هذا الشأن"⁽⁶⁸⁾، علماً أن مساعي إيران للدخول في إعادة الإعمار مفضوحة من قبل هذا؛ فالجمعية السورية لحقوق الإنسان نشرت في أكتوبر/2018 بياناً طالبت فيه المجتمع الدولي منع مشاركة روسيا وإيران في إعادة الإعمار لشراكتها في الدمار الحاصل في سوريا⁽⁶⁹⁾، بعد نشاطٍ للجانبين الروسي والإيراني لاستباق بدء الإعمار قبل إنجاز أي حل سياسي. وأعلنت هيئة إعادة الإعمار الإيرانية عملية ترميم 55 مدرسة من أصل 85 في مدينة حلب وريفها مطلع عام 2017⁽⁷⁰⁾.

ويبرز مع اسم "هيئة إعادة الإعمار الإيرانية" اسمُ جمعية "جهاد البناء"، وهي إحدى أذرع إيران في سوريا وتستحوذ على حصة كبيرة من المشاريع البناء، وتنشط في ترميم المدارس والروضات والمشافي في حلب وحماة ودير الزور ودرعا، مع تنفيذها مشاريع عسكرية لقوات النظام والمليشيات الإيرانية، وهي من الجهات التي فُرضت عليها عقوبات أمريكية⁽⁷¹⁾، ومن المناطق التي استولت عليها "جهاد البناء" مدينة البوكمال، وتقوم فيها بأعمال تنظيف الأحياء وإعادة تأهيل المدارس⁽⁷²⁾.

وقد افتتحت إيران عام 2018 ثلاث مدارس في مدينة البوكمال، ومدرسة واحدة في الميادين بريف دير الزور قرب الحدود العراقية "بكاور تعليمي إيراني، وضمت المدارس 250 طفلاً أعمارهم تتراوح بين 8 سنوات و15 سنة، ويحصل كل طفل على 10 آلاف ليرة سورية (حوالي 20 دولاراً) كراتب شهري"⁽⁷³⁾.

65- الوكالة العربية السورية للأنباء (SANA)، 2019/1/29. <https://www.sana.sy/?p=886045>

66- موقع زمان الوصل، 2020/1/25. <https://www.zamanalwsl.net/news/article/120471/>

67- أقام نظام الأسد في أيلول/2019 معرضه السنوي الخامس لإعادة إعمار سوريا تحت عنوان "عمرها 2019"، وكالعادة تم تسهيل الحدث وتمويله إلى حد كبير من قبل إيران. وكان السفير الإيراني جواد تركآبادي قد شارك في حفل قص الشريط في العام الماضي، وأكد على أهمية دور طهران في إعادة إعمار البلاد التي مزقتها الحرب. يُنظر: علا الرفاعي، معرض "إعادة إعمار سوريا" النفوذ الإيراني والعقوبات الأمريكية، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، 2019/9/17 <https://cutt.us/6dzpj>

68- نائب روحاني: شركات إيرانية ستشارك في إعادة إعمار سوريا، وكالة الأناضول، 2020/1/13. <https://cutt.us/gqDPI>

69- بيان الشبكة السورية لحقوق الإنسان تُطالب بفرض عقوبات على الشركات الروسية والإيرانية ومنعها من أية مساهمة في إعادة الإعمار، 2018/10/30 <https://cutt.us/fXwSG>

70- قناة العالم، حلب، 2017/3/2. <https://cutt.us/aaEdh>

71- ياسر العلاوي، إعادة إعمار سوريا.. جهاد البناء جمعية إيرانية بنشاطات مشبوهة، أنا برس، 2020/4/6 <https://cutt.us/0uuu6>

72- ما هي مهام منظمة جهاد البناء في البوكمال؟ أورينت نت، 2018/5/16 <https://cutt.us/6qaw2>

73- منح للدراسات الجامعية وندوات ثقافية وحسينيات، مرجع سابق.

6-1- تغيير المناهج وإدراج اللغة الفارسية⁽⁷⁴⁾: ثمن الدعم الإيراني في مجال التربية والتعليم

إن نشاط إيران في إعادة ترميم المدارس السورية ليس لمنفعة اقتصادية لشركائها فحسب، بل لا يبعد هدفها عما وجدناه في ربط المدارس الدينية والحوزات بها كما سبق، واستغلال حاجات الناس المادية، حتى صارت المدارس الإيرانية في سوريا اليوم أمراً واقعاً، ما يحمل وزير التعليم والتربية الإيراني على أن يزور سوريا مطلع عام 2020 بهدف "تفقد مدارس الجمهورية الإسلامية الإيرانية وإبرام مذكرات تفاهم"⁽⁷⁵⁾.

وجاءت في بعض وسائل الإعلام أن إيران تعرض ترميم مدارس في ريف حلب وحمص واللاذقية مقابل تكريس اللغة والثقافة الفارسيّتين؛ وتسعى إيران لتوقيع اتفاقية لإدراج اللغة والثقافة الفارسية في "المناهج السوري" بدءاً من العام الدراسي القادم⁽⁷⁶⁾، وهذا ما صرّح به وزير التربية والتعليم الإيراني في حديثه عن استعداد إيران للعمل بترميم المدارس السورية المدمّرة بعد لقائه وزير تربية النظام وتوقيع اتفاقية التعاون مطلع عام 2020؛ فيما يبدو أنها مقيضة مع نظام الأسد، وأن هذا قد يكون بندياً تم إدراجه في الاتفاقية⁽⁷⁷⁾؛ فإيران كانت بدأت قبل ذلك بترميم مدارس وإنشاء أخرى جديدة، ولكنها تريد أبعد من ذلك⁽⁷⁸⁾.

والتغلغل الإيراني في قطاع التعليم ما قبل الجامعي ليس في ترميم المدارس للسيطرة عليها وإدراج الفارسية لغةً فيها وحسب؛ بل في نصّ الاتفاقيات أنها تشمل "تطوير وتدريب المدرّسين"، ما يعني وضع كوادر وزارة التربية تحت الوصاية الإيرانية للتأهيل وفق أيديولوجيتها، ففي كلام وزير تربية النظام⁽⁷⁹⁾ - أن إيران على استعداد "لوضع جميع الإمكانيات لديها لتقديم الدعم اللازم لسوريا في مجال تأليف وتطوير الكتب الخاصة بإعداد المعلمين"، وكذلك تطوير ودعم التعليم المهني والتقني، وتابع الوزير الإيراني مع وزير النظام ورشة لبناء مناهج التعليم الأساسي والثانوي. دون أن ينسى الوزير الإيراني مجال المتميزين؛ فأبدي كذلك "استعداد بلده لتبادل التجارب في مجال الموهوبين، ومرحّباً بإقامة مباريات في مجالات عدة لمنح جائزة مشتركة"⁽⁸⁰⁾؛ ما يضع أركان التعليمية والتربوية في سوريا بالكامل تحت القبضة الإيرانية.

وقد قُوبل الحديث عن تطوير إيران المناهج الدراسية السورية بسخرية وانتقادات مع معارضين سوريين لا يرون إيران مؤهلةً لتطوير العملية التعليمية السورية⁽⁸¹⁾. وإنما هي وسيلة جديدة للعبث في المناهج المدرسية للتغلغل

74 الفارق بين هذه الأداة "إدراج اللغة الفارسية" وبين الأداة السابقة التي تحدثنا عنها في الفقرة الأولى "نشر اللغة الفارسية"، أن هذه الأخيرة، تشمل الجهود التي تقوم بها إيران لنشر لغتها في سوريا في مختلف المجالات وعلى مختلف الشرائح العمرية، في حين أن الأداة محل البحث تركز فقط على إدراج اللغة الفارسية ضمن مناهج وزارة التربية التي تشمل المرحلتين الأساسية والثانوية.

75- وزير التعليم والتربية يزور سوريا، وكالة إسنا (isna)، 2020/1/22. <https://cutt.us/DNj8z>

76- ماذا يخفي إدراج اللغتين الروسية والفارسية في المناهج السورية؟ الجزيرة نت، 2020/2/21. <https://cutt.us/F2glH>

77- إيران ترمم مدارس الأسد والتلاميذ يدفعون الثمن، العربية نت، 2020/1/24. <https://cutt.us/tcFZW>

78- إيران وروسيا تتنافسان على قطاع التعليم بسوريا، شبكة شام، 2020/1/29. <https://cutt.us/qbXaT>

79- مباحثات سورية إيرانية للتعاون في ترميم المدارس وطباعة الكتب وتطوير التعليم المهني والتقني، وكالة الأنباء العربية السورية سانا، 2020/1/22. <https://www.sana.sy/?p=1092765>

80- ميرزائي: استعداد إيران لتبادل التجارب في مجال الموهوبين، موقع وزارة التربية السورية، 2020/1/23. <https://cutt.us/D5sOu>

81- عمار ديوب، عندما يريدون التعليم إيرانياً، العربي الجديد، 2020/2/2. <https://cutt.us/turNT>

أكثر في إعداد الأطفال السوريين؛ فالتربية – وأهم ما تكون من خلال المدرسة – وسيلة مهمة في تمهيد الطريق للتغيير الاجتماعي والثقافي وتوجيهه، لأنها تُعدّ الناشئة لهذا التغيير⁽⁸²⁾، فما يُنكره السوري اليوم من التغلغل الإيراني – بفضل تنشئته السابقة – قد يألفه الطالب السوري بعد مقررات مطبوعة في إيران؛ فهي تحت قبضتها للإضافة والحذف وفق رؤيتها وأهدافها، على نحو ما سبق في خطة "بختيار" لتعديل مناهج التعليم الديني الذي أوكله لرجل إيران الثقافي "عبد الله نظام".

ولا يغيب عنا أنه على نحو ما ذُكر في المناهج الإيرانية للحوزات الدينية؛ فالمناهج المدرسية الإيرانية تطفح بالأحقاد الشعبية وكرهية الآخر استعلاءً بالقومية الفارسية، وتغرس سمومها الفكرية في عقول الإيرانيين والمتشيعين في مشروعها⁽⁸³⁾؛ فحرصُ إيران على تغيير المناهج من حرصها للتغلغل الثقافي في سوريا وتمكينها من القدرة على تغيير هوية أبنائها في المدارس والتعليم العالي.

7-1 - معسكرات الكشافة: أطفال سوريا جنوداً في "جيش المهدي"

وكما هو الحال في سعي إيران لإدراج الفارسية لغةً في المناهج السورية، وهي قبل ذلك بسنوات لها مدارسها الدينية والتعليمية تدرّس فيها منهاجاً إيرانياً باللغة الفارسية، وكذلك الاتفاقيات لترميم المدارس وقد مضت سنوات وهي ترمّم وتبني فيها؛ فلها تكتيكات أخرى لتجنيد الأطفال لخدمة مشاريعها على نحو ما تفعل في الجامعات والحوزات والمدارس الدينية؛ فقد كُشف عن إنشاء الحرس الثوري الإيراني معسكرات خاصة لتجنيد الأطفال بين 10 و17 عاماً وتدريبهم في ريف دير الزور، لاستخدامهم في معارك الميليشيات الإيرانية، وللمساهمة في التغيير الديمغرافي، وتشجيع المنطقة وتغيير هويتها الاجتماعية⁽⁸⁴⁾.

وتقدّر أعداد الأطفال في هذه المعسكرات التي أطلقت عليها اسم "كشافة الولاية" بـ 5000 طفل في دير الزور وحدها، مع فرع لهذه الكشافة بدمشق في منطقة السيدة زينب. وتضمّ هذه المعسكرات مع الأطفال السوريين أطفالاً من جنسيات إيرانية ولبنانية وأفغانية وغيرها، ويخضع الأطفال فيها مع التدريبات العسكرية لأنشطة وطقوس شيعية مذهبية، وجعلوا شعارهم فيها "وأطيعوا"؛ في دلالة لإطاعة ولي الفقيه، ومشروع الكشافة تموّله المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق، وتقيم للأطفال فيها احتفالات دينية ومعارض ودورات لتعليم اللغة الفارسية⁽⁸⁵⁾، وقد تأسست مؤخراً جمعية "كشافة الإمام المهدي" لتجنيد الأطفال وإعدادهم فكرياً جنوداً في المشروع الإيراني؛ فهذه الجمعية – فضلاً عن التدريبات الرياضية العسكرية – تنظّم للأطفال أنشطة غريبة وغير تقليدية مقارنةً بما ينبغي أن تكون عليه جمعيات الأطفال، إذ تغسل "جمعية كشافة المهدي" عقول الأطفال غسلًا منظماً عن طريق جمعهم في قاعات مجهزة بالآلات عرض، تسرد لهم بعض القصص والأفلام حول "النواصب" وأهمية الثار للحسين،

82- يُنظر: الرشيد حبوب محمد الحسين وآخرون، التربية والمناهج ودورهم في التغيير الاجتماعي والثقافي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد 41، 2018/12. ويرى الباحثون أن التغيير الثقافي ينضوي تحته التغيير الاجتماعي لشمولية الثقافة جوانب حياة المجتمع.

يُنظر مع البحث السابق: دلال ملحس استيتية، التغيّر الاجتماعي والثقافي، دار وائل، الأردن، 2010: ص 79.

83- يُنظر: صباح الموسوي، الشعبية في مناهج الحوزة الدينية وأدبيات القيادة الإيرانية، ب. ت، بلا ناشر، ص 68.

84- نبراس إبراهيم، يزجون أطفال سورية في جهات القتال، شبكة جيرون، 2019/6/5. <https://geiroom.net/archives/155176>

85- كشافة إيران.. معسكرات لتجنيد أطفال سوريا، تحقيقات، أنا برس، 2020/2/28. <http://anapress.net/a/30056406026370>

وينقذ الأطفال مسيرات ومواكب حسينية، وهم يحملون علم إيران وصور الخميني في مناسبات متعددة⁽⁸⁶⁾. ومعسكرات إيران هذه للسيطرة على أطفال سوريا وتغيير هويتها تشبه معسكرات "أشبال الخلافة" التي كانت تقيمها "داعش" لتجنيد الأطفال السوريين لصالح مشروعها⁽⁸⁷⁾.

وقد تلجأ إيران في المناطق المدمرة ابتداءً إلى رعاية احتفالات الأيتام والمتفوقين دراسياً، وتكريمهم مادياً بمبالغ مميزة في ظل ظروف مادية صعبة يمرّ بها سكّان تلك المناطق؛ لاستمالة الأطفال وذوهم⁽⁸⁸⁾، على نحو ما كانت تستغل قبل الثورة السورية مناسبات تحفيظ القرآن في مناطق متعددة لحضور احتفالاتها وتقديم الجوائز للفائزين، مع تقديمها الدعم المالي للمعاهد الشرعية لزيادة التعاطف معها⁽⁸⁹⁾.

وهذه المحاولات في السيطرة على قطاع التربية والتعليم سبق لإيران أن فعلته في العراق؛ لذا يرى بعض الباحثين "أن إيران تدرك أهمية التعليم، فهي تحاول تكرار تجربتها العراقية في سوريا؛ فقد استطاعت خلال عقد من الزمن تغيير جميع المناهج في المدارس والجامعات العراقية بما يتناسب مع مصالحها وأجندتها العقائدية والقومية والمذهبية، وتستغل الأوضاع الاقتصادية التي تمرّ بها سوريا لصالحها⁽⁹⁰⁾".

وفي السياق ذاته، يرى البعض "إنه إذا تمّ لإيران فعلاً السيطرة على التعليم في سوريا كما سيطرت على قطاعات أخرى؛ فسيصبح أبناء سوريا في ظرف سنوات قليلة أسلحة في يد الإيرانيين لنشر خرافاتهم وتوسيع إمبراطوريتهم البائدة، ولن يكون من الممكن تغيير ما تم زرع في عقول أبنائنا السوريين؛ فالتعليم في الصغر كالنقش في الحجر"⁽⁹¹⁾.

ولابد من التأكيد أن التقدّم الذي أحرزته إيران في التغلغل الثقافي على الصعيد التعليمي والتربوي ساعد فيه وصول شخصيات شيعية أو متشيعّة أو تابعة للمشروع الإيراني -بشكل أو آخر- صنعها إيران ودفعت بها إلى أعلى المناصب؛ كوزير التعليم العالي الأسبق "هاني مرتضى" (الشيوعي) ووزير الأوقاف "محمد عبد الستار السيد" - فضلاً عن كثيرين دون مراتبهم - طوعاً أمراً، وأدوات لها في تنفيذ مخططاتها داخل هذه الوزارات والمؤسسات⁽⁹²⁾.

86- يُنظر: ومؤسسات النفوذ الإيراني والأساليب المتبعة في التشييع، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، أبريل 2018، ص 20. كأنها الضاحية.. دمشق تلتحف بالمقامات والمزارات واللطميات الشيعية، ميرفت عوف، سياسة بوست، أبريل 2018. <https://0i.is/XtrS>.

87- يُنظر: علي رجب، على خُطى أشبال الخلافة الداعشية.. إيران تسيطر على أطفال سوريا بكشافة الولاية، المرجع، 2019/2. <https://www.almarjje-paris.com/12545>

88- يُنظر: زياد عواد، إيران في دبر الزور: الاستراتيجية والتمدد وفرص التغلغل، مشروع بحثي، برنامج مسارات الشرق الأوسط، مركز روبرت شومان للدراسات العليا في الجامعة الأوروبية بفلورنسا، 2019/10، ص 11.

89- يُنظر: تحذير البرية: ص 22.

90- في تكرار التجربة العراقية.. جامعات النظام في مواجهة المدّ الإيراني، الاقتصاد نت، 2018/11/17. <https://cutt.us/4ABij>

91- أحمد زكريا، إيران تستولي على قطاع التعليم في سوريا.. ومصادر: هذا أخطر ما مرّ على سوريا، 24-sy، 2020/2/4. <https://cutt.us/63MjT>

92- يُنظر: البعث الشيوعي: ص 155، ومؤسسات النفوذ الإيراني في سورية: ص 27.

2- أدوات إيران الاجتماعية والمدنية للتغلغل الثقافي في سوريا:

لم تفوت إيران فرصة في اصطناع رجال لها يقودون الحركة الدينية والعلمية كما مرّ؛ فتغلغلت في بناء الحسينيات والحوزات الدينية، وعملت بكل قوة لاستقطاب الأكاديميين واختراق الجامعات، وكذلك عملت للسيطرة على المدارس وتدريب المعلمين وتأهيلهم وفق مقررات تعليمية منها.

ولضمان ديمومة أطول لمشاريعها عمدت إيران إلى اختراق القاعدة الشعبية في الدول المستهدفة مذهبياً وسياسياً، وعلى نحوٍ مشابهٍ عملت في حربها الشاملة للتغلغل الثقافي في سوريا على اختراق المجتمع السوري؛ لإحداث التغيير الذي تنشده، لتحقيق هيمنتها على المجتمع ثقافياً واجتماعياً⁽⁹³⁾، وفي سبيل إحداث هذا التغيير على صعيد المجتمع المدني مارست التغلغل الثقافي من عدة زوايا معاً؛ لتسريع مجال التغيير الثقافي وتوسعته.

ولأن إيران تدرك أن المجتمع الذي يخضع للتغيير الثقافي يقبل بعض ما يأتيه ويرفض أخرى وفق ما يعرف بـ "الحوصلة الثقافية"⁽⁹⁴⁾ استعملت عدة أدوات، نرصد منها: تأسيس الجمعيات والهيئات المدنية، والخدمات الإنسانية، والمغريات غير المادية، واستقطاب زعماء العشائر والشخصيات المؤثرة، والعلاقات الاجتماعية، وحزب الله⁽⁹⁵⁾.

2-1- تأسيس الجمعيات والهيئات المدنية: محاولة رسم وجه ناعم لإيران

سبق في التمهيد أن العمل الإنساني قد يكون أداةً في الحرب الناعمة أو الاحتلال الناعم، ولاشك أن الظهور الرسمي للمسؤولين في دولةٍ ما له تكلفته السياسية خارج الحدود أحياناً، ولا يقلّ خطورةً عن الظهور العسكري في بعض المواقف، ومع تنبّع التغلغل الثقافي الإيراني عبر العمل المدني في سوريا يتأكد أنه يرتبط بمستوى العلاقات السياسية منذ عهد الأسد الأب حتى اليوم؛ فإذا كانت الجمعيات الإيرانية وفروع جمعياتها العاملة في سوريا اليوم يتجاوز 62 جمعية⁽⁹⁶⁾، فإن الأمر لم يكن كذلك من قبل، فمع النشاط الكبير للسفارة الإيرانية وذراعها الثقافي المستشارية الثقافية بدمشق لم تنشأ لإيران جمعية مدنية خلال عقود، لكنها لم تفوت الفرصة لاستغلال الجمعيات التي توافق خط عملها بدعم مشاريعها وتوجيهها إن أمكن، كما حصل مع "جمعية المرتضى" التي أسسها "جميل الأسد" شقيق حافظ الأسد السابق بداية الثمانينات⁽⁹⁷⁾؛ حيث أدت هذه الجمعية أغراضاً استخباراتية للنظام، مع أنشطتها الدينية والثقافية من خلال إقامة العديد من الحسينيات والمراكز لها في مختلف المحافظات السورية؛ لاسيما في مناطق العلويين، كما لعبت على تشيّي المجتمع السوري في جولاتها على الأرياف لتعبئة

93- التغيّر الاجتماعي والثقافي: ص 79.

94- المرجع السابق: ص 77.

95- يمارس حزب الله اللبناني أدواراً كثيرة إلى جانب دوره العسكري والسياسي، حيث يستخدم الأدوات التعليمية والمدنية كأدوات قوة ناعمة، إلى جانب حضوره العسكري (القوة الخشنة).

للمزيد حول الأدوار غير القتالية لميليشيات المشروع الإيراني في سوريا، بما فيها حزب الله، يراجع: ميليشيات المشروع الإيراني في سوريا (2): الأدوار ومجالات التأثير، مركز الحوار السوري، 2019-11-22، ص 20 وما بعدها، <https://bit.ly/3gCluON>.

96- ياسر العلوي، إعادة إعمار سوريا.. جهاد البناء جمعية إيرانية بنشاطات مشبوهة، أنا برس، 2020/4/6، <https://cutt.us/0uuu6>.

97- يُنظر: البعث الشيعي: ص 42-46، ومؤسسات النفوذ الإيراني في سوريا: ص 2.

العلويين والشيعة ضد "تمرد النظام المديني التقليدي"⁽⁹⁸⁾؛ فدعمت إيران أنشطة جمعية المرتضى في نشر التشيع، واستغلها لتمكين اختراقها للطائفة العلوية، واستمالة أبنائها إليها تحت ذريعة "عودة الفرع إلى الأصل"⁽⁹⁹⁾.

ثم تطوّر ذلك بظهور جمعيات وهيئات ثقافية ترعى أنشطة التشيع والتغلغل الثقافي الإيراني بدعم مباشر من إيران عبر المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق، فبدأت "جمعية النجمة المحمدية" عام 1993 أنشطتها في منطقة "السيدة زينب"، ودشنت عام 1995 مع جمعيات ثقافية شيعية أخرى⁽¹⁰⁰⁾، ومع بدء عهد الأسد الابن وتضاعف التغلغل الثقافي الإيراني تأسست عام 2001 "هيئة خدمة أهل البيت"، وأقامت أنشطة شعائرية وتبشيرية علنية غير مسبوقة في سوريا وقتذاك⁽¹⁰¹⁾. ليتضاعف عدد هذه الجمعيات الشيعية والثقافية عام 2004 وتظهر "هيئة علي الأصغر لشباب كربلاء" و"هيئة المختار الثقفي" و"هيئة شباب الإمام الصادق" و"هيئة شباب البتول الطاهرة" و"هيئة شباب جعفر الطيار" و"هيئة خيام الإمام الحسين"⁽¹⁰²⁾.

وتركز عمل هذه الجمعيات آنذاك على تنظيم أنشطة التشيع الإيراني في سوريا، وترتيب شؤون "الحجاج" والزوّار الوافدين، مع التركيز على استهداف فئة الشباب بشعارات ومسميات طائفية كما يظهر في أسمائها، بما يخدم مشروع إيران في نشر التشيع والتغيير الثقافي والاجتماعي.

وكانت هذه الجمعيات تعمل - كما هي الحسينيات والحوزات الدينية الشيعية - بتراخيص أمنية وليس قانونية من الجهات ذات الصلة بالنشاط الأساسي للجمعيات، ولتأكيد استقلالية مراكز النشاط الديني والثقافي الإيراني تأسست عام 2005 "مديرية الحوزات العلمية" بموافقة الأمن السياسي؛ لتكون أنشطة الحوزات والجمعيات الثقافية الإيرانية تحت إدارتها بشكل رسمي، ومع ختم معتمد من الداخلية السورية، بعيداً عن المؤسسات السورية من وزارة الأوقاف والتربية وغيرها، واستمرت كذلك حتى بعد تنظيم صدور قانون تنظيم التعليم الديني للعام الدراسي 2006-2007⁽¹⁰³⁾.

ولما بلغت الأنشطة الإيرانية في التشيع خاصة والتغلغل الثقافي عامة مبلغاً لم يعد ينفع فيه التخفي وراء الجمعيات الثقافية والدينية، ومع انسياق النظام في مشروع إيران الديني والثقافي ودعم أنشطتها عبر الأجهزة الأمنية؛ ظهر احتقان في الشارع السني والمؤسسة الدينية التقليدية التي عمل على إضعافها، ما دفع بعلماء الشام للبيان سابق الذكر عام 2006، وفي خطوة للالتفاف على غضب الشارع واحتوائه دفع النظام بأحد حلفائه لإعلان "جمعية التآخي بين المذاهب الإسلامية في سوريا" برئاسة الدكتور صلاح الدين كفتارو، بحيث يشغل نائب رئيس الجمعية رجل الدين الشيعي الدمشقي عبد الله نظام؛ وذلك "استجابة للهواجس المثارة بشأن التشيع، ومن أجل تعزيز

98- يُنظر: سوريا.. الدولة المتوحشة: ص175؛ وتقصد الجمعية بالتمرد المديني الحرب التي شهها الأسد ضد الإخوان في حماة وباقي المدن السورية في تلك الفترة.

99- البعث الشيعي: ص48؛ ويعنون بعودة الفرع إلى الأصل: عودة الفرع العلوي إلى الأصل الشيعي، تأكيداً أن العلويين طائفة من الشيعة.

100- البعث الشيعي: ص73 وص78.

101- البعث الشيعي: ص102.

102- يُنظر: البعث الشيعي: ص108، ومؤسسات النفوذ الإيراني في سوريا: ص19.

103- يُنظر: البعث الشيعي: ص127.

وأصدر الإخاء الإسلامي والتقريب بين المذاهب" (104)، وفق بيان تأسيس الجمعية (105)، واجتهد كفتارو بعدها في لقاءات التقارب المزعومة مع المسؤولين الإيرانيين (106)، وفي جلسات المستشارية الثقافية بدمشق (107).

وبعد انطلاق الثورة السورية ووقوف إيران عسكرياً مع النظام، وتغوّل ميليشياتها لم تعد إيران بحاجة للتقارب والتخفي في أنشطتها الثقافية من خلال الجمعيات المدنية؛ لكنها في الوقت نفسه حرصت على إظهار وجه ناعم من خلال أنشطة خيرية وثقافية عبر أكثر من 62 جمعية، لتجعل لها قبولاً وشرعيةً في المجتمع السوري؛ ففي هذا التدخل الناعم تضمن في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة للأهالي قبول شريحة كبيرة من الناس، وإن لم يكونوا من مؤيدي التدخل العسكري الإيراني، لكنهم سيجدون الخدمات والمساعدات الإيرانية مسحةً ناعمةً لهم، وهذا ما بدأ يظهر في بعض المناطق المدمرة، كما في دير الزور؛ فالوجود الإيراني لم يعد يلقى استهجاناً، والأهالي لم يعودوا يرون في إيران عدواً كبيراً لهم بعد أن قامت بصرف أموال طائلة لتقديم المساعدات الغذائية والطبية لسكان المدن والقرى في المنطقة، ووزعت مبالغ مادية على بعض العوائل (108)، حتى انتشر بين الناس أن أنشط الجمعيات الخيرية وأكثرها فاعلية في دعم المحتاجين ومساعدتهم هي الجمعيات ذات التمويل الإيراني (109).

وفي التعريف الذي نشرته جمعية "جهاد البناء" لنفسها أنها: "منظمة إنسانية إيرانية قامت في سوريا لمساعدة الأهالي المدنيين وتخفيف معاناتهم من أثر الحرب، باشرت عملها في المنطقة الشرقية بعد التحرير وذلك في بداية العام 2018" (110)، ثم عدّدت بعض أعمالها الإنسانية في المنطقة.

ورغم نشاط الجمعيات الإيرانية المدنية في دير الزور إلا أن الحرس الثوري الإيراني شكّل من عناصره لجنة إغاثية توزّع مساعدات منتظمة على الفقراء، وشارك عناصره كذلك في تأهيل حدائق عامة ومراكز ترفيهية، وأقاموا مستوصفات مجانية في البوكمال والميادين وغيرها (111)؛ فهو تلميحٌ لصورة هذه الميليشيات التي تلطخت أيديها بدماء السوريين، ليظهروا في ثوب المخلص والمُعِين للفقراء والمحتاجين.

104- تستغل إيران دعوى التقارب بين السنة والشيعة لاختراق المجتمعات الأخرى، وكان لكثير من العلماء المعاصرين جهود طويلة في التقارب دون جدوى بسبب الموقف الإيراني، يقول صباح الموسوي: "إن دعوة التقريب بين المذاهب التي يرفع شعارها اليوم النظام الإيراني، والتي جند لها مجموعة من الأصوات السائرة في ركبها؛ قد أفضلتها النظام الإيراني نفسه قبل غيره، وذلك عبر ممارساته الطائفية والشعبوية التي مارسها ويمارسها باستمرار؛ سواء ضد أهل السنة في إيران الذين يتجاوز عددهم العشرين مليون نسمة، أو من خلال تدخلاته السافرة في شؤون الدول العربية والإسلامية، محرّضاً على الفتن والحروب الطائفية تارة تحت عنوان: تصدير الثورة الإيرانية، وتارة أخرى تحت عنوان ما يسمّيه: نشر مذهب أهل البيت".

صباح الموسوي، حقيقة الدعوة الإيرانية للتقريب بين المذاهب.. الشيطان يكمن في التفاصيل، ط1، 2013: ص83. ويُنظر: المشكلة الشيعية: ص24 و28، و10 مغالطات حول التبشير الشيعي، موقع الشيخ يوسف القرضاوي، 2008/10/26 <https://www.al-qaradawi.net/node/3264>

105- يُنظر: البعث الشيعي: ص145.

106- سوريا وإيران تبحثان سبل تعزيز التقارب بين المذاهب الإسلامية، العهد، عمان، 2006/11/12 <https://cutt.us/38d3L>

107- موقع المستشارية الإيرانية بدمشق، 2006/5/4 <https://cutt.us/ZeldE>

108- غيث الأحمد، ما بعد انتهاء الصراع كيف تحفظ إيران وجودها في سوريا، مركز رفيق الحريري للشرق الأوسط، 2019-1-11، <https://bit.ly/3gvO859>، وإيران في دير الزور: ص13.

109- مؤسسات النفوذ الإيراني في سوريا: ص19.

110- من صفحة جهاد البناء على الفيسبوك، 2018/9/16 <https://cutt.us/BI64Q>

111- إيران في دير الزور: ص10-11.

وهذا ما تريده إيران من مساعداتها الإنسانية؛ لتثبيت القبول لها ولعناصرها عند الناس، لاسيما في مناطق ما زالت محل تنازُع بين أطراف إقليمية ودولية مثل دير الزور، فعملُ إيران الإنساني يبرئ لها قاعدة شعبية بين الأهالي، ويسهّل تغلغلها الثقافي في المنطقة، ويساعدها في تشكيل هوية ثقافية جديدة لها؛ ما يقوّي موقفها التفاوضي مع الفاعلين الدوليين الآخرين في سوريا، ويجعل لها وجوداً "شرعياً" مرحباً به من أهل المنطقة، فضلاً عن تمكين سلطتها على بوابة سوريا الشرقية بذريعة تسهيل وصول الحجاج الإيرانيين والعراقيين للمراقد الشيعية في سوريا. ولا يقف عمل الجمعيات المدنية الإيرانية، أو المدعومة من إيران عند منطقة دير الزور؛ فهي تنشط في أكثر المدن السورية، وتستغل الاحتياجات الكبيرة في المناطق التي ترجع إلى سيطرة النظام الشكلية أكثر؛ فعلى نحو ما فعلته في المنطقة الشرقية السورية، فقد أسست جمعيات خيرية في الجنوب مثل "جمعية الزهراء" و"جمعية أحباب القائد الخالد" و"جمعية تموز" لإحكام تغلغلها في المنطقة عبر الذراع المدني، وجميعها مدعومة من المستشارة الإيرانية بدمشق، وتسعى هذه الجمعيات لتقديم المساعدات الغذائية والطبية لسكان المنطقة مع مساعدات مالية تصل أحياناً إلى حدود 35000 ليرة سورية شهرياً⁽¹¹²⁾.

وهذه الجهود الإيرانية المدنية في منطقة الجنوب السوري التي شهدت انطلاق الثورة السورية خطيرة في فرض صورتها الناعمة مقابل الدمار الذي حلّ في المنطقة خلال سنوات الثورة، ما قد يغيّر الحاضنة الشعبية لصالح إيران، ويسمح لها بالتغلغل الثقافي والاجتماعي في منطقة مجاورة لـ "إسرائيل" التي تستهدف القوات الإيرانية في سوريا بشكل مستمر، ولا تخفي إيران رغبتها في فتح منطقة الجنوب على حدود "إسرائيل" للموالين لها⁽¹¹³⁾.

2-2- الخدمات الإنسانية: خبز إيران لنشر التشييع

تحرص إيران على الأنشطة الإنسانية لتسهيل أعمالها الثقافية، فمع هذه الأيدي الناعمة في دير الزور مثلاً وجدنا - كما سبق - جهوداً كبيرة لها في نشر التشييع وتعليم الفارسية في مراكز تعليمية ومدارس فارسية خاصة بها وتحفيز أبناء المنطقة للدراسة في إيران.

كما أن العاملين في المستوصفات الطبية الإيرانية هم من الإيرانيين الذين يتقنون العربية، ويقدمون الأدوية الإيرانية والروسية للمواطنين مجاناً، وتستقطب هذه المراكز عشرات المتطوعين برواتب مغرية؛ فتحول العديد منهم إلى التشييع، وتلحقهم بالمليشيات الإيرانية⁽¹¹⁴⁾.

وكذلك تعمل الجمعيات الإيرانية في الجنوب لتنشيط التشييع، حتى إن ممثل خامنئي في سوريا "أبو الفضل الطبطبائي" زار مدينة درعا، واتفق مع الأهالي على تأسيس "جمعية الزهراء" سابقة الذكر بحجة تقديم المساعدات لذوي الشهداء والأهالي، وخدمات "جمعية الزهراء" وغيرها إنما بهدف تسهيل نشر التشييع كما يرى أبناء المنطقة،

112- تحت ستار الإغاثة والتجنيد هل تسعى إيران لتشجيع درعا والقنيطرة؟ أحمد زكريا، اقتصاد مال وأعمال السوريين، 2019/2

<https://www.eqtasad.net/news/article/24086/>

113- طموحات إيران في بلاد الشام، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، 2017/5 <https://cutt.us/N737m>

114- رجا سليم، تداوهم بالتي كانت هي الداء.. طبابة إيرانية مجانية لأهالي دير الزور، موقع الحل، 2018/8، <https://cutt.us/TLQqf>

وقد نجحت هذه الجمعيات في تجنيد المئات من شباب الجنوب في الميليشيات الإيرانية مع تقديم رواتب مالية مغرية، ما قد يدفعهم للتشيع كذلك⁽¹¹⁵⁾.

وفي المناطق التي يسيطر عليها النظام السوري تنشط إيران مديناً من خلال المؤسسات الثقافية الخاضعة لها؛ فمجمع الرسول الأعظم يسعى لتمكين التغلغل الثقافي الإيراني في الساحل؛ فمع ما يقدمه من مغريات للطلاب لاستقطابهم في مدارسهم الدينية، افتتح المجمع هيئات نسائية وخيرية تُعنى بشؤون عائلات القتلى من قوات الأسد، وتقدم لهم مساعدات مادية وعينية كان لها الدور الأكبر في اجتذاب الآلاف - وربما أكثر - من المتشيعين الجدد⁽¹¹⁶⁾، كما تلجأ إيران - حسب اقتصاديين - إلى إنشاء مشاريع اقتصادية ومستوصفات طبية في الأحياء الفقيرة ضمن مناطق النظام لتحويلهم إلى موالين لإيران ومشروعها⁽¹¹⁷⁾، وفي بحث ميداني عن نشر التشيع في سوريا قبل الثورة، اتضح أن الغالبية العظمى (حوالي 76%) من العلويين المتحولين للتشيع كانوا من الطلاب والعاطلين عن العمل⁽¹¹⁸⁾.

فهذه الإغراءات المالية تؤدي دوراً ملحوظاً في ترويج التشيع الإيراني؛ إذ يتم إعطاء الفقراء مثلاً القروض باسم التضامن الإسلامي، وفي نهاية المطاف يقال لهم: لا داعي لإعادتها، وعلى نحو مشابه يتم توفير الرعاية الطبية في المستشفيات الخيرية الإيرانية في سوريا، كما في مستشفى الخميني بدمشق⁽¹¹⁹⁾، ومثله المشفى الخيري ومراكز طبية أخرى في حلب⁽¹²⁰⁾، وقد تشيع بعض العاملين في المجال الطبي بمشافي حلب قبل الثورة السورية بسبب التأثير بنشرات شيعية يتم توزيعها من دعاة الفكر الإيراني⁽¹²¹⁾.

وحيث إن الدعم الإيراني "الإنساني" أداة لتحقيق التغلغل الثقافي لإيران في سوريا نجدها تُعاقب المناطق التي شهدت تمزداً ضد نظام الأسد، في مقابل دعم خيري واسع للمناطق التي شهدت هدوءاً خلال سنوات الثورة، كما تفعل بجنوب سوريا من خلال النظام وحزب الله؛ فقد أجبروا سكان قرى "مثلث الموت" فور سيطرتهم عليها على دفع فواتير الكهرباء بقيمة عالية عن السنوات السابقة التي لم تكن فيها الكهرباء متوفرة أساساً، وفي المقابل أغدقوا الأموال لتأهيل قرى الشركس شبه الخالية من سكانها، وقدموا لهم التسهيلات والإعفاءات من الفواتير مع مساعدات الجمعيات المدنية الإيرانية لترميم البيوت المتضررة؛ لأن حزب الله يريد التمكن أكثر في المنطقة ذات

115- تحت ستار الإغاثة والتجنيد هل تسعى إيران لتشيع درعا والقنيطرة؟ مرجع سابق.

116- مجمع الرسول الأعظم وثانويات رامي مخلوف الشرعية، مرجع سابق. وعربي 21 ترصد عمانم نفوذ إيران بسوريا ومؤسساتها: ص9.

117- عبد القادر موسى، حقائق صادمة للتوغل الاقتصادي الإيراني في سوريا.. دولة داخل دولة، أنا برس، 2020/2

<http://anapress.net/a/111837565387493>

118- تحذير البرية: ص17، والتشيع في سوريا ليس خرافة: ص49.

119- التشيع في سوريا ليس خرافة: ص36.

120- مؤسسات النفوذ الإيراني في سوريا: ص23، والتشيع في سوريا ليس خرافة: ص75.

121- تحذير البرية: ص52.

العمق الاستراتيجي، وهي قرى عرقية قد تحدت من ضربات إسرائيل للمليشيات الإيرانية⁽¹²²⁾، يُضاف إلى هذا، ما تقدم ذكره من جمعيات إيرانية مدنية تنشط في عموم مناطق الجنوب السوري.

وما تبدله الجمعيات من مغريات مادية وخدمية للتشجيع على التشييع لا يخرج عما كانت تقدمه المستشارية الثقافية الإيرانية من رواتب للمتشييعين قبل الثورة⁽¹²³⁾، وما تدفعه الثانويات الشرعية الشيعية في الساحل وغيره لاجتذاب الطلاب، وما سبقت الإشارة إليه من رواتب عالية لطلاب كلية الشريعة الشيعية في إدلب عند تأسيسها.

فإيران تبذل ثروات شعها البائس فيما تسميه "تصدير الثورة" لبناء إمبراطوريتها الموهومة باتباع لها في مختلف الدول، ولا توازي أعداد المتشييعين الجهود المبذولة من إيران مع النظام قبل الثورة، فعادت بعد الثورة السورية لاستغلال حاجات الناس في الظروف الاقتصادية الصعبة لتقديم الخبز لهم مقابل اعتناق التشييع والانضمام إلى جنود "الولي الفقيه".

3-2- المغريات غير المادية: التشييع وشراء الولاء بغير المال

ومع فشل المغريات المادية في استقطاب جميع الناس للمشروع الإيراني لجأت إيران لمغريات أخرى غير مادية؛ فلم تتورّع عن استعمال النساء في ذلك، ولم يكن ذلك لإغراء الطلاب والشخصيات الوافدة على إيران مما سبق ذكره فحسب، بل كانت عند مزارات الشيعة؛ "فقوافل السائحين الشيعة من لبنان وإيران وغيرها تأتي وبصحبتها شابات فانتات، ويتم الترويج للمتعة، فيقع الشباب الضعيف في شركها؛ وربما تشييع بحجة أنه دين يقدم حلاً لإشباع الشباب بالحلال؛" وليس كالمذهب السني المتحجر كما يروجون⁽¹²⁴⁾. وزواج المتعة أغرى به بعض رجالات إيران كثيراً من الشباب بالحجة ذاتها؛ لكي تشييعوا، وفي مثل هذا نشط زيدان رستم في الجنوب السوري، بعد أن تشييع وبدأ الدعوة للمذهب الشيعي بدعم من إيران انطلاقاً من قريته "قرفة"⁽¹²⁵⁾ في ظل دعم أممي يوقره له منصب ابن عمّه "رستم غزالة" رئيس شعبة الأمن السياسي وقتها؛ والأمن السياسي هو الجهة الأمنية التي كانت توفّر التراخيص الأمنية للحوزات والجامعات والمدارس الإيرانية.

ولا يمكن تصوّر نشاط تشييع وإغراء خارج حدود الآداب الاجتماعية والشرعية للبلد كهذا دون علم السلطات الأمنية والسياسية للنظام السوري؛ ما يؤكد دعم هذه الأخيرة لمهمة إيران في نشر التشييع، لاسيما في مناطق كالجنوب السوري المشهور بالمحافظة والعشائرية.

وبعد الثورة السورية زادت إيران من مكاتب زواج المتعة بفتاوى من المرجعيات الدينية العليا في الحوزات الإيرانية⁽¹²⁶⁾، فافتتحت مراكز عدة لتنظيم عقود المتعة في حلب وريفها مستغلةً ذلك كطريقة لنشر التشييع؛ فهذه العقود

122- كيف يتوغل حزب الله في قرى الشركس على حدود الجولان المحتل، أنا برس، 2020/2. <https://cutt.us/Txhlu>

123- تحذير البرية: ص 71.

124- د. أيمن هاروش، وسائل الشيعة في تحقيق مشروعهم، الرائد، مايو 2013 <https://cutt.us/oPsDm>

125- التشييع في سوريا ليس خرافة: ص 67.

126- يُنظر: إيران تعلن جهاد المتعة في سوريا، مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2016/5/29 <https://cutt.us/cWcXg>

لا تتم إلا بين المنتمين للمذهب الشيعي بحضور معمم شيعي حصراً⁽¹²⁷⁾، في محاولة دنيئة لاستقطاب الشباب شهبانياً للتشيع الإيراني؛ ما يعكس خللاً في البنية الاجتماعية والمذهبية في مناطق سيطرة النظام، الذي يسلك مع إيران كل سبيل لإنجاز مشروع التشيع والتغلغل الثقافي الإيراني في سورية.

ومما كان يُغري به عملاء إيران من المتشيعين جذباً للتشيع ما سبق ذكره من إغراء بعض الشباب بالتسهيلات وتسوية أوضاع الملاحقين لدى الجهات الأمنية وحرية الحركة عبر الحدود السورية اللبنانية⁽¹²⁸⁾، فمن يتشيع يصبح مقرباً من السلطة وتُحلّ أموره كلها، بل كان السفير الإيراني يأتي بنفسه لزيارة من يتشيع أحياناً⁽¹²⁹⁾.

وحيثما كانت الأجهزة الأمنية السورية – لاسيما في عهد بشار – ترعى مشروع التشيع؛ بادرت باعتقال كل من يعترضه، ولا نعني ما كان من اعتقال المؤذنين الذين رفضوا رفع الأذان الشيعي في قرى دير الزور بعد 2018، ولا ما كان من حراسة الأمن لمواكب الشيعة في دمشق؛ وإنما نعني ما كان من اعتراض أنشطة التشيع قبل ذلك؛ فقد أخذت السلطات بالتضييق على العلماء الذي وقّعوا بيان علماء الشام الموجّه لرئاسة الجمهورية بخصوص استثناء الحوزات من قانون تنظيم التعليم الديني، حتى إنهم أنزلوا أحد كبار علماء الشام من أساتذة كلية الشريعة بدمشق مرةً من الطائرة بعد خطبة له ألمح فيها لمخاطر نشر التشيع، وتم التحقيق معه لساعات⁽¹³⁰⁾.

وهذا حال أكاديميين ومثقفين كثيرين كان ينتهي بهم الأمر إلى التحقيق والسجن أو الطرد من العمل عند أدنى معارضة للتغلغل الإيراني⁽¹³¹⁾، وسبق ما نقلنا عن أهمية التزكية من المستشارية الإيرانية بدمشق لمن يريد المنصب. فإن كان هذا تعاملاً مع معارضي التغلغل الإيراني من الأكاديميين والعلماء فالحال مع عامة الناس أشد، فلم يرحموا شاعراً مستأناً انتقد جيش المهدي في قصيدة بعد أن هاجم اللاجئين السوريين في العراق، حتى مات لسوء معاملته في سجنه⁽¹³²⁾.

ومما جاء في عريضة لبعض شيوخ وزعماء الطائفة العلوية للخارجية الفرنسية عام 1936؛ وهو أكثر مناسبة لما تفعله إيران اليوم في نشر التشيع: "هذه الحوادث التبشيرية التي تكون معذورة لو أن الدافع لها اليقين والإيمان؛ إلا أن الشيء المشين في هذه الحوادث – وهنا موضع استيائنا وعليه احتجاجنا – هو استثمار واستغلال فاقة

127- جهات إيرانية في سوريا تنشر التشيع بمكاتب زواج متعة، الخليج الجديد، 2018/8 <https://cutt.us/wluNI>

128- سبقت في شهادة مدرس من ريف حمص.

129- وسائل الشيعة في تحقيق مشروعهم، مرجع سابق.

130- جاء هذا في شهادة أكاديمي سوري خلال مقابلة تمت في سوريا، 2020/2/20.

وفي السياق ذاته، عانى أحد الأكاديميين السوريين من مضايقة الفروع الأمنية له بسبب موقفه الراض لأنشطة إيران الدينية والثقافية، حيث حاولوا استمالتهم باللين، ثم تدرّجوا بالتهديد والتضييق عليه، والتحقيق معه في الأمن العسكري وفرع فلسطين سبي الصبوت لساعات، حتى فصلوه من الجامعة ولاحقوه مع أفراد أسرته وصادروا ممتلكاتهم.

كل ذلك بحسب مقابلة أجريت افتراضياً مع أقارب الأكاديمي الملاحق بين 2020/2/24-23.

131- كما أفادنا أكاديمي سابق في جامعة البعث بحمص أنهم حققوا معه خلال عامي 2006-2007 للاشتباه في عدم محبته لحزب الله وقائده حسن نصر الله، واتهموه ببناء على ذلك بالوهابية والانتماء للقاعدة!!

132- يُنظر: البعث الشيعي؛ ص148. والتجمعات الشيعية في بلاد الشام؛ ص138.

شعب فقير، وشراء ضمائر ضعيفة كما تُشتري السلع؛ ليمرّق من دين إلى دين آخر... ويا للأسف حالتنا أن صادف المرء بين قومه أناساً يتخذون أقدس العقائد بضاعة للتجار بها في سوق السياسة" (133).

فإيران لم تدّخر في سبيل مشروعها تقديم مختلف أنواع المغريات بعد إطلاق يدها للتغلغل الثقافي في سورية مع بدء عهد بشار، وحيث لم تكن تنفع الأيدي الناعمة لحوّاح باليد الخشنة والقوة الأمنية، ليتأكد أن التغلغل الثقافي الإيراني يخرج عن القوة الناعمة إلى الاحتلال الناعم، أو الامبريالية الثقافية كما سبق.

4-2- استقطاب زعماء العشائر والشخصيات المؤثرة: شراء الولاء والذّم

لا يغيب عن إيران في زحمة حماسها للتغلغل الثقافي في سورية أهمية العشائر في تركيبة المجتمع السوري، وقد عمل كل من حكم سورية منذ العثمانيين حتى البعثيين مروراً بالفرنسيين على كسب ولاء زعماء القبائل، لاسيما مع سعة انتشار العشائر السورية بين المدن والأرياف، وغلبة النظام العشائري في مناطق بأكملها كما في الجزيرة السورية والبادية والجنوب، وإن ضعفت سلطة زعماء العشائر على أبنائها إلا أنها لا تنمحي، فيبقى للعشيرة في سورية هيكلتها وزعامتها (134)؛ لذا سعت إيران لاختصار الطريق والوصول إلى العشائر عبر زعمائها، باستقطابهم إلى "التشيّع وحبّ آل البيت" - كما تروج - ليسهل عليها التغلغل الثقافي في شريحة أساسية من المجتمع السوري؛ فاقتناع شيخ العشيرة بأفكارهم يفضي إلى تأثر العشيرة بأكملها في الغالب، فبدأت إيران منذ عهد مبكر بدعوة كثير من رؤساء العشائر من مختلف المحافظات السورية إلى زيارة إيران ولقاء كبار المسؤولين والعلماء الشيعة وإغداق الأموال عليهم (135)، ليعودوا متشيّعين أو معجبين مهورين بالمشروع الإيراني.

ومن أدوات إيران في التقرب إلى زعماء العشائر واستقطابهم ادعاء الانتساب إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلّم، وأن مهمة الشيعة الإيرانيين إكرام المنتسبين إلى آل البيت (136)، أو "أن معظم عشائر دير الزور هي امتداد لعشائر العراق، التي كانت تتبع المذهب الشيعي" (137).

لذا بدأت إيران منذ العام 2012 بما تسمّيه "تطويع المجتمع السوري" لتخليصه من الإرهاب من خلال ربط العشائر في سورية بمجلس العشائر العربية، ومقرّه في بغداد، فعمدت إيران من خلال مجلس العشائر هذا للتوجه إلى المجتمع المحلي وإنشاء جمعيات خيرية ومنح تسهيلات وبطاقات أمنية للعمل تحت ظل "مجلس العشائر" (138).

وقد حققت إيران بهذه الدعوات والمزاعم اختراقاً في بعض القبائل في الجزيرة السورية، وسرى التشيّع في عدد من القرى من قبل الثورة السورية، وإن لم يكن على نطاق واسع (139).

133- البعث الشيعي: ص 91.

134- العشائر السورية وتحولات الهوية السياسية، العربي الجديد، يوليو 2017 <https://cutt.us/HmYQG>

135- تحذير البرية: ص 13 و 58-59، والتشيّع في سوريا ليس خرافة: ص 48.

136- إيران في دير الزور: ص 20، وتحذير البرية: ص 65.

137- البعث الشيعي: ص 91.

138- مجد الخطيب، إيران وتطويع المجتمع السوري: مجلس العشائر، 2017/2، المدن. <https://cutt.us/GKIO3>

139- ما بعد انتهاء الصراع، مرجع سابق.

ونتيجة للتفاوت في تجاوب شيوخ العشائر مع إيران في مشروعها، فقد تتجاوز في تعاطيها مع العشائر الشيوخ والوجهاء الوراثيين، فتتواصل مع مدّعي المشيخة المفتقرين إلى الشرط الوراثي اللازم لأي شيخ عشائري وفق الأعراف السائدة⁽¹⁴⁰⁾، وما تغدقه إيران من أموال لمن يقبل الانسياق في مشروعها من "مدّعي المشيخة" أولئك كافٍ لتكون كتلة اجتماعية ليست بالقليلة من حولهم، لاسيما في الظروف الاقتصادية الصعبة التي وقع فيها الناس بعد سنوات الثورة، مع الدفع برجال أو نساء مدعومين من إيران لاعتلاء مناصب حكومية باسم مجلس العشائر الموالي لها⁽¹⁴¹⁾، وأمثال هؤلاء هم الذين تستمر إيران حتى اليوم بدعوتهم لتمثيل العشائر ولقاء أكابر المسؤولين للتشاور في أوضاع المنطقة، ولتوجههم ضد أي مشروع لا يناسب المشروع الإيراني⁽¹⁴²⁾.

ويذكر أحد شيوخ العشائر أنهم في إحدى الزيارات التي دُعوا فيها إلى إيران، "وبعد جولة لعدة أيام في المعالم السياحية في إيران اجتمع بهم مسؤول إيراني، وطلب منهم مساعدتهم في نشر التشيع في قبائلهم، ووعدهم بأن كل أمورهم في سوريا عند السلطة ستكون ممتازة"⁽¹⁴³⁾.

وبهذا تضرب البنية الاجتماعية المتماسكة للعشائر السورية ليسهل عليها التغلغل الثقافي وتغيير هوية المجتمع السوري.

وفي سبيل استقطاب المؤثرين في المجتمع لتسهيل التغلغل الثقافي عمدت إيران كذلك لاستمالة الرموز الدينية والعلمية، ممن يكثر حولهم الأتباع وتسمع لهم عامة الناس؛ فالسيطرة عليهم تعني تمرير مشروعها على كل أتباعهم ومستمعهم، كما هو الحال مع زعماء العشائر، فاستطاعت التأثير في شيوخ بعض الطرق⁽¹⁴⁴⁾، وكذلك بعض الرموز المحسوبين على المجتمع السنّي.

وكانت إيران تتصيد من تجد فيهم هوىً أو ميلاً للخروج على مذهب البلد، فاستمالت أحد الشيوخ ممن يُكثر الطعن في الأحاديث الصحيحة وعنده آراء شاذة تتفق مع الشيعة في بعض الطروحات⁽¹⁴⁵⁾؛ فصار يلجّ بمدح مذهب الشيعة، ويدعو للتقارب معهم تحت مسمى "وحدة المسلمين"، وبهذا نجحت إيران في تحييد رمز ديني له جمهوره، وكسبته في الدعوة لتسهيل مشروعها.

وكذلك أثمرت في أكاديمي بكلية الشريعة بحلب⁽¹⁴⁶⁾، فصار يمشي بدعوة إيران للتشيع الفارسي ويستقطب كثيراً من طلابه والمثقفين، ويؤثر في الناس من حيث موقعه في خطبة الجمعة بأحد أكبر مساجد حلب.

140- إيران في دير الزور: ص17.

141- إيران وتطويع المجتمع السوري: مجلس العشائر، مرجع سابق.

142- إيران تحرض عشائر سوريا ضد أمريكا، الشرق الأوسط، 2019/12/29 <https://cutt.us/ffNeR>

143- وسائل الشيعة في تحقيق مشروعهم، مرجع سابق.

144- التجمعات الشيعية في بلاد الشام: ص142،

145- تحذير البرية: ص23.

146- التجمعات الشيعية في بلاد الشام: ص142، وتحذير البرية: ص37.

ولا شك أن اغترار أفراد المجتمع بالشيوخ والأكاديميين الشرعيين ليس بقليل، فهم مخدوعون بهم يظنونهم على مذهب أهل البلد من السنّة؛ وهم في الواقع سائرون في طريق التشييع ومن دعاته.

وتبدأ إيران عادةً مع شيوخ السنّة بدعوتهم إلى الحسينيات والحوزات الشيعية في المناسبات الدينية (147)، فهم "يخصّون أئمة المساجد والشخصيات المهمة ببطاقات دعوة خاصة بأسمائهم، فإذا ما أرادوا دعوة شيخ أو إمام مسجد أو من يطمعون بنصرته، أو يسعون لاستمالته فإنهم يكتبون له بطاقة صادرة من أكبر مسؤوليهم، ويبالغون في الثناء على الشخص المدعو، فيكتبون له مثلاً: الشيخ العلامة إمام مسجد كذا، أو الأستاذ الشيخ فلان يتشرف سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدعوتكم لحضور الاحتفال بمناسبة كذا" (148). لتبدأ العلاقة بهم بدعوى وحدة المسلمين والتقارب بين المذاهب، ثم يقدّمون لهم مختلف المغريات لاستقطابهم.

والذين يتميّزون في خدمة المشروع الإيراني تدفع بهم للمناصب الرسمية الدينية بالتنسيق مع النظام السوري، فلا يمكن لهم الدفع بوجوه شيعية حتى اليوم للمناصب الدينية الرسمية العليا؛ لكنهم مع وجود من يقوم لهم بما يريدون يوقّرون على أنفسهم صداماً محتملاً مع المجتمع السنيّ في غالبية.

ومن أبرز المتصدّرين دينياً رسمياً من الموالين للمشروع الإيراني: وزير الأوقاف محمد عبد الستار السيد، ومفتي الجمهورية أحمد حسون؛ فأما المفتي حسون فقد بدأ علاقته بالإيرانيين في حلب، فعمل شريكاً للملحق الثقافي الإيراني بحلب وسهّل له الاستيلاء على المشروعات الوقفية الإسلامية كالمسجد الأموي والمكتبة الوقفية وغيرها، مستغلين المشروعات التي أُطلقت خلال إعلان حلب عاصمة للثقافة الإسلامية، مع جهوده في تنظيم أنشطة التشييع والزيارات للمراقد الشيعية (149).

وأما وزير الأوقاف السيد فلا تخفى جهوده في دعم مشاريع إيران الدينية والتعليمية الكبرى لنشر التشييع، وقد جاء به اللواء هشام بختيار لمنصب الوزارة ليكون جزءاً من خطة إيران في نشر التشييع في سورية، وهو كذلك يصدر القرارات التي تخصّ إضعاف التعليم الديني السنيّ، وفكّ ارتباط المعاهد الشرعية بالجمعيات الخيرية التي كانت تقوم بالتمويل، ومنع أي تمويل خارجي للتعليم الديني، مع اتهامات أخرى للوزير السيد بالإشراف على افتتاح مراكز تجنيد للشباب ضمن صفوف الميليشيات الإيرانية العسكرية (150).

ولا تقف مساعي إيران في استقطاب الشخصيات السنيّة على الرموز الدينية؛ فقد سبقت الإشارة لجهودها في استقطاب الأكاديميين في الجامعات، ومن يتابع أنشطة المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق يجد كثيرين من الشعراء والكتّاب السوريين تحتضنهم المستشارية وتدعمهم من قبل الثورة؛ لأنهم يروّجون لمشروعها بلسان أهل

147- يُنظر: البعث الشيعي: ص73.

148- مؤسسات النفوذ الإيراني في سوريا: ص21.

149- يُنظر: تحذير البرية: ص42، ومؤسسات النفوذ الإيراني: ص26، والتجمعات الشيعية في بلاد الشام: ص139، وعربي 21 ترصد عمائم نفوذ إيران بسوريا: ص3.

150- يُنظر: تحذير البرية: ص69، ومؤسسات النفوذ الإيراني: ص26، والتجمعات الشيعية في بلاد الشام: ص142، وعربي 21 ترصد عمائم نفوذ إيران بسوريا: ص5. وفي هذه المصادر كثيرون آخرون من السنّة المتشيعين ومن الشيعة الذي يمثلون رجال إيران دينياً في سوريا؛ فليُنظروا فيها.

البلد، وهم محسوبون من رموز حركتها الفكرية والثقافية فالمتأثرون والمعجبون بهم أكبر؛ وهذا جزء من خطة إيران في استقطاب الكتّاب والصحفيين لتجميل صورتها وتمير مشروعها في المنطقة⁽¹⁵¹⁾.

وهذا تدفع إيران بمشروعها للتغلغل الثقافي في سورية بأناس محسوبين على الغالبية السنيّة، ولهم في المجتمع السوري مصداقية لا تتوفر للأجانب والمجهولين.

5-2- العلاقات الاجتماعية: التزاؤ والتزاؤ لمصلحة المشروع الإيراني

في إطار تعدّد وسائل إيران لإحراز تقدّم في اختراق المجتمع السوري لصالح مشروعها الثقافي بهدوء؛ حرصت على إقامة علاقات اجتماعية تدخل من خلالها بين الناس دون أية أجندة دينية طائفية ابتداءً لتحقيق القبول، وإظهار رموزها الدينية والمحسوبين عليها بأنهم جزء من النسيج الاجتماعي للبلد؛ فعلى نحو ما كان السفير الإيراني يزور بنفسه من يتشيع بدأت إيران مؤخراً التغلغل في المنطقة الجنوبية بشكل كبير بين الأهالي، فحاولت التواصل مع العائلات الكبرى، وزار ممثل خامني "أبو الفضل الطبطبائي" الوجهاء والشخصيات البارزة في تلك العوائل، وعرض عليهم تقديم خدمات مثل صيانة الآبار وإعادة تأهيل المدارس والبنية التحتية⁽¹⁵²⁾.

وهذا ليس بجديد في خطة إيران؛ فقد كان الشيوخ الموالون لها يقومون بجولات حتى على الأرياف والقرى النائية، ويحضرون مع الناس مناسبات العزاء، وقد فعلوا ذلك في ريف حمص قبل الثورة السورية بسنوات، ولا يمنعهم عدم التقبّل وسماع ما يكرهون من بعض الحاضرين من تكرار الزيارات وحضور المجالس العامة⁽¹⁵³⁾.

وحرصاً من الشيعة الإيرانيين ومن يوالونهم على توطيد العلاقات الاجتماعية مع أهل البلد فقد تزوّجوا من سنيّات وزوّجوا بناتهم لأبناء السنّة من السوريين⁽¹⁵⁴⁾، لكنّ هذا التزاؤ أُقيم في الأكثر لأغراض دعائية وسياسية لتسهيل اختراق المجتمع، لذا حدث في بعض المناطق – بعد انطلاق الثورة السورية وتمايز الصفوف وانضمام الشيعة للنظام – طلاقٌ رغم سنوات على الزواج ووجود أطفال كما تقدّم.

وفي حفل الزواج الجماعي المشار إليه سابقاً في حلب

151- في الوثيقة التي وجدت مع عنصر الاستخبارات الإيرانية الذي اعتقل بعد الغزو الأمريكي للعراق ما نصّه: "إن من المهم أن تُدرك بأنّ ثمار ما زرعهنا في البلدان العربيّة منذ عقود من الزمن بعد الثورة الإسلامية قد نضجت، وحن وقت قطفها، مما يجعل استثمار رصيدنا العربي من الكتّاب والمثقفين والساسة العرب، الذين عُرف عنهم معاداة أمريكا في المراحل الماضية والوقوف ضد غزو العراق ودعم ما يُسمى بالمقاومة العراقية) الصدامية الوهابية ضرورة حاسمة؛ وخصوصاً زج رصيدنا العربي مباشرة في الردّ على خصومنا، وجعلهم يتصدون للكتّاب والصحفيين المناصرين للصداميين والوهابيين، أو العفالة والوهابيين أنفسهم". قراءة في الخطة السرية الإعلامية الإيرانية، كتاب الراصد، 5، 2009: ص9.

152- تحت ستار الإغاثة والتجنيد هل تسعى إيران لتشجيع درعا والقنيطرة؟ مرجع سابق.

153- مقابلة مع أحد شيوخ ووجهاء ريف حمص الشمالي، بتاريخ 2020/2/23. وأفادنا بنحو ذلك المدرس من ريف حمص، مشار للمقابلة سابقاً.

154- تحذير البرية: ص18.

وتعتمد عائلات الشيعة والمتشيعين لبناء علاقات اجتماعية مع أكبر شريحة ممكنة، وتشارك في نشاط التشيع، وتوفر للناس "حوافز" حتى يتشيعوا؛ بما ذلك عروض زواج متعة من أجل جذب الشباب للتشيع، كما حصل في حالات مسجلة في إحدى بلدات الجنوب السوري (155).

وفي مقابل حضور الموالين لإيران مجالس الناس العامة، وحرصهم على إقامة علاقات اجتماعية؛ فقد كانوا يحرصون أكثر على الدعوة العامة لحضور المناسبات في مراكزهم للرجال والنساء ويخصّون المشايخ، مع رعاية مناسبات واحتفالات لم يسبق للمجتمع السوري معرفتها، كما في حفل الزواج الجماعي لـ 60 عروساً شيعياً، الذي رعاه حزب الله اللبناني في حلب عام 2002م (156).

كل هذا في إطار مساعي إيران لاختراق المجتمع السوري، لضمان ديمومة أطول لمشروعها في التغلغل الثقافي وتغيير الهوية، معتمدةً أدواتٍ في ذلك من داخل سورية كزعماء العشائر والكتّاب والمشايخ الموالين لها، ومن خارجها كحزب الله.

155- يُنظر: التشيع في سوريا ليس خرافة: ص 70.

156- شارك نائب الأمين العام لحزب الله نعيم قاسم بنفسه في الحفل. والقيادي الآخر من الحزب الذي كان له نشاطه في نشر التشيع في سورية هو "محمد حسين فضل الله" المنظر الروحي للحزب، والذي كانت له دروس دورية في عدد من المناطق السورية منذ التسعينيات. ينظر: البعث الشيعي: ص 120.

خاتمة:

اتضح من خلال الصفحات السابقة تعدد الأدوات التعليمية والاجتماعية والمدنية التي تستخدمها إيران لاختراق النسيج الثقافي السوري، وإيجاد موطن قدم لها الساحة الثقافية السورية، عبر ربط مجموعات من أهم شرائح المجتمع السوري- الأطفال والشباب- بمشروعها العابر للحدود.

ولعل أخطر الأدوات التعليمية التي تستخدمها إيران حالياً هو افتتاح جامعات إيرانية والسيطرة على المدارس، لأن هذه الأدوات يقع نطاقها الجغرافي في الأرض السورية، وبالتالي تكون قادرة على استهداف أعداد كبيرة من الأطفال والشباب السوريين وبكلفة أقل؛ وقد بينت الدراسة في هذا السياق، أن (جامعة المصطفى) التي أصبح لها مقر في سوريا، خرّجت أكثر من 50 ألف رجل وامرأة من 122 دولة.

هنالك عوامل متعددة حالياً قد تساعد إيران في مضاعفة أثر الأدوات التعليمية والاجتماعية بشكل خاص وبقيّة الأدوات بشكل عام، والتي استعرضتها الدراسة، من أهمها:

- اقتران هذه الوسائل بأدوات القوة الخشنة الإيرانية.
- انقياد نظام الأسد بشكل شبه كامل للإرادة الإيرانية، والتي تحاول توظيف هذا العامل لإضفاء طابع رسمي على جميع أعمالها في سوريا كإبرام المعاهدات ومذكرات التفاهم، مع مؤسسات النظام في مجالات متعددة ومختلفة.
- سوء الحالة الاقتصادية لدى المدنيين المقيمين في مناطق النظام، مما قد يدفعهم مكرهين للتجاوب مع الجهود الإيرانية لتحقيق تغلغلها الثقافي في سوريا.
- وجود أقلية شيعية قد تعطي أرضية لبناء جزر من المشروع الثقافي الإيراني داخل سوريا.

أما بالنسبة للأدوات المدنية، فواضح أن إيران تحاول استخدام المجتمع المدني، وما يوفره من أدوات وقدرات لنشر مشروعها الثقافي في سوريا، وهذا يفرض على السوريين الانتباه إلى الجانب السلبي في المجتمع المدني الذي يمكن أن توظفه الدول لمصلحتها لاختراق البناء الثقافي السوري، وبالتالي السعي لإيجاد الأطر التوعوية إلى جانب الأطر القانونية، والتي يمكن أن تحصن هذا المجتمع، الذي ما يزال في مراحلها الوليدة الأولى.

بذلك نكون قد استكملنا دراسة الأدوات التعليمية والاجتماعية- المدنية التي تستخدمها إيران لتحقيق تغلغلها الثقافي في سوريا، وسنتابع استعراض الأدوات الإعلامية والديموغرافية في الإصدار الثالث من هذه الدراسة إن شاء الله.